الفصل الخامس

أحداث حرب فلسطين

obeikan.com

obeikan.com

أحداث حرب فلسطين

وقبل أيام من دخول الجيوش العربية إلى فلسطين عقد الملك عبد الله (ملك الأردن) اجتماعاً في قصره مع وفد صهيوني برئاسة جولدا مائير لمواصلة المفاوضات حول تجنيب الأردن الاشتراك في الحرب ... بينما أصر ولم يتنازل عن منصب القائد الأعلى للجيوش العربية وأن تؤول إليه المهمة التاريخية في تحرير فلسطين .

وكان الجيش العراقي أجدر الجيوش العربية باحتلال المكانة الثانية بعد الجيش المصري، وكان سجله العسكري والوطني حافلاً منذ ولادته الحديثة بعد الحرب العالمية الأولى .

وكان الجيش السوري لايتجاوز كتائب من الفرق الاستعمارية الفرنسية ، وكانوا يجندونها خاصة من الأقليات وللاشتراك في أعمال القمع أو في مغامرات فرنسا الاستعمارية .

أعلنت لبنان صراحة أن أقصى ما يستطيعه الجيش اللبناني هو الدفاع عن حدود لبنان ، وأنه لايملك ما يستطيع أن يشترك به في أي هجوم خارج حدوده ، ولم يكن جلالة الملك عبد العزيز آل سعود متحمسا للحرب [1] .

في جلسة رؤساء الأركان تم إعداد خطة مفصلة لعمل الجيوش العربية وفقاً للتوجيهات التالية : جيش سوريا سيتحرك عبر طبريا ، صفد والناصرة ، جيش العراق سيتحرك نحو عافولة وسينضم في نقطة معينة للجيوش الأخرى في الطريق نحو حيفا ، الجيش الأردني سيتحرك نحو القدس ، جوش عتسيون ولطرون ، العراقيون سيحتلون حيفا ، وسيتقدم الجيش المصري نحو الشمال وإذا تغلب على الهاجاناه سيهاجم تل أبيب .

(١) محمد عودة ، مرجع سابق ص (١٧٩-١٨٠).

دعا فاروق قادة جيشه لمقابلة شخصية ، هم فوجئوا بسماع قراره من فمه بإعطاء الضوء الأخضر للحرب ، أعرب عدد منهم عن المخاوف من عدم استعدادية الجيش المصرى لهذه الحرب ، لكن « فاروق » خفف من هذه المخاوف بقوله أن جميع الجيوش العربية سيدعمون مصر فى الحرب ، وطلب البدء فوراً فى الاستعدادات .

عشرات السياسيين والضباط المصريين ، الذين حلموا بالثراء السهل ، أسرعوا الواحد تلو الآخر إلى أوروبا ، سكنوا فى فنادق فاخرة وتفاوضوا مع وسطاء أسلحة دوليين ، الذين وضعوا أموالاً كثيرة فى جيوبهم وباعوا أسلحة ومعدات قديمة ومعيبة .

المندوبون المصريون اشتروا طائرات حربية إيطالية من طراز « بيات » و«ماكى » مع علمهم الواضح أن مستواها منخفض ، فى سويسرا تم شراء مدافع قتالية مستعملة ، غير صالحة للاستخدام ، فى روما أنشات حاشية الملك « إبراهيم ناموك » ، والكولونيل «عمر إبراهيم سيف الدين » ، شركة لتجارة السلاح تفاوضت من أجل شراء طائرات حربية ، سفن قتالية ، دبابات ومدافع .

فى القيادة فى قلب البلدية ، نظر « طارق بك الأفريقى » فى تقارير المراقبة لمبعوثية الذين تابعوا سراً مايحدث فى كيبوتس نيتسانيم ، حكت التقارير عن حفر مواقع وعن تدريبات سلاح فى نيتسانيم ، وكان الأفريقى لديه الخبرة اللازمة ليفهم أنه سيكون من الصعب تنفيذ هجوم ناجع على المستوطنة ، بدلاً من هذا قرر استنزاف المدافعين عن طريق إغلاق الطرق المؤدية لهم ، وضع كمائن وهجمات مفاجئة فى النقاط الضعيفة على طول الطرق كانت له خبرة فيها .

« أدموند جحلان »، فتى مدلل محبوب فى الشركة الكبرى فى القاهرة ، مستورد أقلام حبر وصديق شخصى للملك ، اشترى من البريطانيين بواقى سلاح قديمة تبقت فى الصحراء الغربية بعد الحرب بأبخس الأثمان ، وباعها للجيش المصرى

بثمن كامل ،الأموال التى كان على مصر أن تضخها لشراء السلاح كانت كثيرة إلى درجة أنه فى نهاية الأمر اضطرت الحكومة الى تخصيص كل الإيرادات من محصول القطن المستقبلى للدولة ، وأموال الملك فى سويسرا ، من أجل توفير التمويل للتسلح الواسع للجيش ، جولة الشراء السريعة تمت بدون أى رقابة ، تم شراء دبابات « شرمان » من الحرب العالمية الثانية ، وكانت بحاجة إلى إصلاح ، فقط بعد التوقيع على الصفقة اتضح أن أعمال إصلاح الدبابات الضرورية ، لن يستطيعوا إنهاءها قبل نهاية ١٩٤٨ .

كان هناك تفسير واحد فقط للمشاكل المتكررة والمختلفة : شخص ما فى قيادة الحكم المصرى جمع الكثير من المال من شراء أسلحة فاسدة ، تعهد نجيب عندما تنتهى الحرب أنه لن يرتاح حتى يضع يده على الفاسدين الذين أضروا بمقدرة الجيش مقابل صفقة مالية .

كان نجيب على حق بالنسبة إلى الأسلحة الفاسدة، لكنه بالغ كثيراً فى عدد الضحايا الإسرائيليين : فى القتال على أشدود قتل وأصيب حوالى ١٠٠ من مقاتلى جفعاتى ، لكن هذا العدد كان يهدف إلى نشر جو كئيب فى اللواء وفى القيادة العامة .

على الرغم من ذلك جلبت الأيام القادمة معها شعور مبدئى من التشجيع ، اتضح أن العدو يحكم سيطرته حول أشدود ، يحفر مواقع جديدة ، يحصن القديمة ، من نواحى كثيرة كانت هذه نقطة تحول هامة ، على الأقل حتى الآن ، قلت المخاوف من استمرار تقدم الجيش المصرى نحو تل أبيب ، كان التقدير بأن كل الجهود سوف تتركز الآن حول فصل النقب عن دولة إسرائيل .

مرة كل أسبوع أرسلت قيادة الكتيبة ٥٣ فى اللواء جفعاتى ، الذى كان مسئولاً عن أمن المنطقة ، قافلة إمداد ترافقها مدرعات من القاعدة فى مستوطنة بئر توفيا إلى نيتسانيم ، فى ٢١ مارس ، فى الساعة السابعة صباحا ، بعد مطر خفيف تساقط أثناء الليل ، أفرغت قافلة الإمداد شحنتها فى الكيبوتس وخرجت فى طريقها عائدة

إلى القاعدة .

كانت برفقة القافلة شاحنة « أليقيم بن آرى » ، هم اجتازوا مسافة معينة بدون أى عقبات حتى وصلوا إلى بربخ فى الطريق ، فجأة انفجرت أمامهم عبوة ناسفة شديدة القوة تسببت فى حفر بئر عميق فى الطريق وأغلقت الطريق أمام القافلة .

فى نفس اللحظة فتحت نيران جهنم من جانبى الطريق . أمر قائد القافلة بالالتفاف سريعاً والعودة الى الكيبوتس ، حاول قائد المدرعة إدارة المركبة إلى الخلف ، ولكن انزلق من الطريق إلى داخل بركة مياه أمطار وانغرست هناك ، مدرعة ثانية جاءت للمساعدة وانغرست هى الأخرى فى الوحل .

نيران المهاجمين زادت من لحظة إلى لحظة ، اثناعشر جنديًا الذين كانوا فى المدرعات حاولوا الوصول إلى الشاحنات ، المركبة الوحيدة التى كانت قادرة لم تتحرك حتى الآن ، قتل اثنان منهم ، الثالث أصيب إصابة خطيرة ، لم يكن هناك مفر الا العودة والاحتماء بالمدرعات وانرد بالنار .

أخذ «اليقيم » دفة قيادة الشاحنة واستنزف دواسة الوقود حتى نهايتها ، على مقربة من الكيبوتس لاحظ مئات العرب القادمين من الهضاب اتجاه مستوطنة نيتسيم ، العاملون بالزراعة بدأوا فى الهروب إلى داخل الكيبوتس ، أمطرهم المهاجمون بنيران شديدة عليهم ، مواقع الكيبوتس ردت بإطلاق النيران أسقطت ضحايا فى الصفوف الأولى من رجال العصابات .

الآخرون احتموا بملجأ واستمروا فى إطلاق النيران ، اليقيم الذى وصل فى هذا الوقت إلى الكيبوتس أبلغ عما حدث فى الطريق .

اقترب المهاجمون بدون خوف ، واثقين من نجاحهم فى القضاء على اليهود بدون أى صعوبات ، كان يقودهم ضابط بريطانى أشقر الشعر ، أصدر أوامره باللغة الإنجليزية وبحركات اليدين ، لاتوجد لديكم فرصة ، صرخ بالإنجليزية

تجاه المدرعات ، استسلموا إذا كنتم تريدون البقاء على قيد الحياة .

وفى المقابل رد أحد المحشورين فى المدرعات تجاه المهاجمين بالعربية :

« لاتسمعوا لأوامر الإنجليزى ، عودوا إلى غزة إذا كنتم تريدون البقاء أحياء .

القائد المتحدث بالإنجليزية حث رجاله على التقدم – وبن يهودا أعطى أوامره لإطلاق النار والدقة فى التصويب .

إنشاء سلاح الجو الإسرائيلى

الفكرة سمعت كهذيان مشاغب لشخص فقد صوابه تماماً« ليوندر فايسمان » ، تاجر يبلغ من العمر ٣٢ عاماً أصبح غنيا من تجارة الخردوات، نظر إلى « يهودا أرزى » كأنه غير مصدق ، أنت تمزح ، كانت هذه هى الكلمات الوحيدة التى استطاع إخراجها على حافتى شفتيه .تم إجراء اللقاء بينهما فى نيويورك، تم عقد صلة الصداقة بينهما قبل ذلك بزمن ، عندما وصل يهودا أرزى إلى الولايات المتحدة لتدعيم طاقم مبعوثى الشراء، « أرزى » كان يبلغ من العمر أربعين عاما ، رمادى الشعر ، أنيق الملبس ، واسع الكتفين وأصلع قليلاً .

كان من ورائه سنوات خدمة فى الشرطة ، مبعوث شراء فى بولندا وقيادة على خدمة الأنباء للهاجاناه ، وصل إلى نيويورك مسلحاً بتوجيهات بن جوريون لشراءأسلحة ومعدات كثيرة بقدر الإمكان ، بدون حد أقصى : مدافع ، دبابات ، سفن حربية ، « أرزى » كان بالضبط الشخص المناسب الذى يأخذ على عاتقه مهمات صعبة من هذا النوع .

وقد بدأ عمله الأمنى فى سن السابعة عشرة ، عندما أرسلته الهاجاناه لكى يعرض نفسه للخدمة فى الشرطة السرية البريطانية ، البريطانيون تأثروا بملامحه الأوروبية وإتقانه للغة الأنجليزية وقبلوه للعمل ، هو اختفى من هناك بعدما علم رؤساؤه انه نقل معلومات سرية للهاجاناه ، هذه المعلومات قادت الهاجاناه إلى

أماكن إخفاء السلاح العربى ، وإلى الوشاة اليهود الذين عملوا فى خدمة البريطانيين ، «أرزى» ربى ذقنه وتزود بهوية مزيفة على اسم الحاخام يهوشع لفكوفيتس ، بعد ذلك سافر إلى إيطاليا ، وقام بمساعدة جنود الفيلق اليهودى ، بعملية سرقة سلاح من معسكرات الجيش، وبعد ذلك بفترة بدأ فى المساعدة لتهجير المهاجرين إلى البلاد .

همس« شلومو شامير » فى أذنى شفيمر بكلمات « بن جوريون » ، الذى لم يعتقد فى إمكانية إنشاء سلاح الجو حتى اندلاع الحرب ، على الرغم من المقربين منه أيدوا ذلك ، من يعتقد أنه من الممكن إحضار طائرات قتال وقصف إلى البلاد ، وإعداد ممرات جوية ، ومحطات مراقبة الطقس وقاعدة تسليح للطائرات تحت العين المراقبة البريطانية- يكون مخطئاً خطأ كبير » قال « بن جوريون » ، أعتقد أن الاحتمال العملى الوحيد هو شراء طائرات بدون طيار يتم شحنها بمواد متفجرة وتتحطم فى داخل تجمعات العدو .

لكن بالنسبة إلى « شفمير» النحيف دائماً والرياضى ، البالغ من العمر ثلاثين عاماً لم يتوقف عن طرح مبررات من أجل إقناع شامير للبدء فى امتلاك طائرات حربية على الرغم من الحظر ، وعرض مساعدته ، قال « أنا أعتقد أنه توجد طريقة من أجل تهريبهم للبلاد وإعدادهم من أجل الحرب ، وقد رفض فكرة الطائرات بدون طيار رفضاً تاماً ، عندما قال إنها غير آمنة بما فيه الكفاية ، « شامير » سد أذنيه عن السماع ، لكن « شفمير » لم يتنازل .

إضفاء بعد إنسانى على الجنود الصهاينة :

أشار الكاتب إلى عمليات الإخلاء التى قام بها جنود جفعاتى ويضفى عليهم بعداً إنسانيا بتحذير السكان وإبلاغهم بإخلاء القرية ، والسماح لهم بأخذ أشياءهم ، فى حين رسم صورة سيئة لأهالى القرية الذين قاموا بعمل كمائن وقتل اليهود .

مع بزوغ الفجر أغلق جنود جفعاتى ، مسلحين بالبنادق والرشاشات ، مداخل

قرية زرنوجا ، قاموا بجمع السكان فى وسط القرية ، وأبلغهم ضابط شاب أن عليهم أن يجمعوا حاجياتهم الضرورية ويغادروا المكان ، الإشاعات حول النية لإخلائهم ، أثارت خوفاً فى القرية ، أسرع السكان لياخذوا معهم الأشياء القيمة (الأموال / الجواهر / سندات شراء المنازل) ، أغلقوا أبوابهم وأخفوا المفاتيح فى جيوبهم شحنوا أمتعتهم على العربات تجرها الخيول والحمير ، وبدأوا فى التوجه نحو قرية يفنيه ، تحت قيادة متطوعين من مصر ، الأردن وسوريا ، وكانوا مزودين بالبنادق والرشاشات ، وضعوا كمائن فى الطرق ، أطلقوا النار ، أصابوا وقتلوا يهود .

يضفى المؤلف بعداً إنسانياً لروايته من خلال أحد رجال البالماح الذى يصف مشهد رحيل السكان العرب ، وأن جزء منهم تركوا منازلهم برغبتهم ، والآخر ترك منازله بالإكراه ، وفى ذلك اعتراف من المؤلف بالأعمال الوحشية التى قام بها الجنود الصهاينة فى حق العرب أصحاب البلاد الأصليين .

لم يكن عرب زرنوجا هم الوحيدين الذين تركوا مساكنهم برغبتهم أو بالإكراه عشية الحرب وفى أثنائها ، فى يافا على سبيل المثال ، تبقى مجموعة من السكان ، من بينهم فى الأساس أصحاب البساتين وتجار الفاكهة ، كان هناك اتفاق .....بأن اليهود لن يضروا الحصاد والتصدير ، ولذلك لن يهاجموا يافا حتى نهاية موسم الفاكهة ، من اللد والرملة طرد حوالى ٥٠ ألف عربى .

رجل البالماح « شمرياهو جوتمان » من كيبوتس نعن التقى بقوافل هؤلاء المطرودين وكتب عنهم فى صحيفة الكيبوتس التى ينتمى اليه :

جماهير من السكان ساروا وراء بعضهم البعض ، النسوة سرن ومجموعة من اللفائف والأكياس على رؤوسهن ، الأمهات جذبن الأطفال وراءهن ، سار الشباب والشيوخ ، النساء والأطفال ، سحبت عربات مشحونة بالأمتعة تجرها الحيوانات ، وهناك عربات لم تجرها البغال ولكن قام الآدميون بجرها ، ولم يكن

هناك إنسان لم يحمل ثقل متعب ، هم قادوا معهم الماعز ، النعاج ، البقر ، الدجاج المربوطة ، حتى كل طفل قام بسحب شيء سلة طعام ، جرة مياه ، إبريق قهوة ، تصاعدت أعمدة الدخان فى أعقاب السائرين ، كانت هذه الرحلة رحلة حزينة – ظهرت على وجوه عشرات الآلاف من السائرين .

يعترف الكاتب بالأعمال الوحشية التى قام بها الجنود الصهاينة أثناء طرد العرب من قراهم قبل وأثناء حرب فلسطين ،ويسرد جزء من قصيدة كتبها الشاعر ناتان الترمان ، وكانت قد منعت من النشر ، ثم نشرت بعد موافقة « بن جوريون » على نشرها .

عملية الطرد هذه رافقها غير مرة أعمال وحشية قاسية ،« مجرمو حرب » أطلق الشاعر « ناتان الترمان » هذا اللقب على لجنود ، فى قصيدته « على ذلك » :

مرت على سيارة جيب بالمدينة المحتلة .

شاب قوى ، ومسلح .... شاب كالأسد .

وفى الشارع المقصود رجل عجوز وأمرأة اندفعوا من أمامه إلى الحائط .

والشاب ابتسم بأسنان بيضاء : سأجرب هذا الرشاش – وجرب .

فقط غطى العجوز وجهه بيديه ودمه عطى الحائط .

حظرت الرقابة نشر هذه القصيدة فى « العمود الأسبوعى لإلترمان فى صحيفة «دافار» لكن الشاعر لم يتنازل ، لقد اقتحم مكتب بن جوريون ، وضع القصيدة أمامه وحكى له بغضب عن حظر الرقابة

قرأ بن جوريون القصيدة وسمح بنشرها فوراً ، كذلك أصدر أمراً بطباعة عشرات الآلاف من نسخ القصيدة وتوزيعها على كل جندى ، وأرسل إلى الترمان خطاباً شخصياً : « لقد كنت فماً طاهراً وأميناً– للضمير الإنسانى . كتب له .

حوالى ٨٠٠ ألف من عرب (أرض إسرائيل) سينتقلون خلال أشهر الحرب إلى الضفة الغربية ، للأردن ، لغزة ، للبنان وسوريا ، جزء منهم سينتقلون برغبتهم ، الجزء الآخر سيتم طردهم ، هم سيسكنون فى معسكرات لاجئين مؤقتة وسيبتعد عنهم السكان المحليون ، تقريباً كلهم سيطلبون العودة بعد مرور فترة قصيرة ، لكن الطريق لمنازلهم سيكون مغلقا .

دور الاستعمار البريطانى فى دعم الإرهاب الصهيونى

منذ بدء الانتداب البريطانى على فلسطين أخذ البناء التنظيمى للإرهاب الصهيونى فى النمو والرسوخ فى فلسطين ، مستفيداً من دعم الاستعمار البريطانى للحركة الصهيونية وتأمينه آلاف الصهاينة من الشباب الذين سرعان ما انخرطوا فى تنظيمات الإرهاب ،وقد استقر البناء التنظيمى للإرهاب الصهيونى منذ مطلع عشرينيات القرن العشرين حين تأسست الهاجاناه ممثلة الذراع العسكرى والباطش للوكالة اليهودية عام ١٩٢٠ والتى نظمت داخل تنظيمها فرقاً خصصت للهجمات الإرهابية ، ومنها كتائب « بوش » التى تقرر تشكيلها عام ١٩٣٧ ، وكذا فرق البالماح ، وفى السنة التالية لاندلاع الثورة الفلسطينية الكبرى عام ١٩٣٦ انشق أنصار الصهيونية التصحيحية عن الهاجاناه وكونوا تنظيما اتخذ لنفسه مظهرا أشد تطرفاً ودموية وهو الأرجون تسفائى لئومى (الاتسل) ، ثم بعد ذلك انشقت جماعة شتيرن عن اتسل وكونت جماعة ليحى عام ١٩٤٠ ، وتعد هذه المنظمات الثلاثة (الهاجاناه / اتسل / ليحى) العمود الفقرى للإرهاب الصهيونى حتى عام ١٩٤٨ [١] .

بيل ستيورت وستيفن بينتسلى، سائقان بريطانيان لمدرعات حاملات رشاشات من طراز « برن » بحثوا عن الطريق المناسب لكى يبلغوا الهاجاناه عن رغبتهم فى الانضمام بمدرعاتهم إلى صفوفها ، هم لم يكونوا الجنود البريطانيين الوحيدين

(١) د.عبد الوهاب المسيرى ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، المجلد السابع ، ص١٨٧.

الذين شجعوا نضال اليهود فى (أرض إسرائيل) ، ورغبوا فى الهروب بأسلحتهم وتسليمها للهاجاناه .

الاثنين سافرا من المعسكر الخاص بهم فى سرفند (اليوم تسريفين) إلى مستوطنة رحوفوت ، وتجولوا ساعات خارج المستوطنة حتى عرف ستيورت شاب كان معروفا له ، هو تقدم إليه وسأل : هل تعرفنى ؟

نعم ، قال « الياهو تسفرى » جندى فى « جفعاتى » أنت أوقفتنا ذات مرة عندما كنا نرافق قافلة إمداد لكيبوتس نيتسانيم .

صحيح قال ستيورت ، هل تذكر شيئاً آخر ؟

« أتذكر » ابتسم « تسفرى » ، أنت سمحت لنا بالمرور بدون أن تطلب مصادرة أسلحتنا .

قبيل وصول طائرة السلاح الأولى ، بذلت جهود مضنية من أجل إصلاح مطار تستطيع الهبوط فيه ، أغلب المطارات فى البلاد ، لم تكن أكثر من مسارات ترابية مفتوحة ، الآخرين كانوا مناسبين فى الأساس لاستخدام الطائرات الخفيفة .

أوصى الخبراء باستخدام مطار بجوار بئر توفيا ، الذى استخدمه البريطانيون قبل فترة قصيرة من مغادرتهم ، ليس بعيداً عن ذلك كانت هناك القرية العربية بيت دراز ، التى خرجت منها الهجمات على نيتسانيم، من أجل ضمان الهبوط بدون أى معوقات، وكان من المطلوب وجود لواء جفعاتى من أجل تخصيص قوات خاصة .

فى ظهر ١ أبريل خرجت الطائرة من براغ، توجهت مجموعة من الفنيين إلى منطقة الهبوط وأعدتها بسرعة .

هبطت الطائرة فى منتصف الليل، وفوراً بدأت عملية إفراغ شحنتها على ضوء المصابيح التى تتكون من ٤٠ رشاش ، ٢٠٠ بندقية وحوالى ١٥٠ ألف طلقة .

دور دولة التشيك فى دعم إسرائيل أثناء الحرب

أظهرت الرواية دور دولة التشيك فى دعم إسرائيل وكذلك دور الجالية اليهودية فى هذه البلد التى وصل للحكم فيها رجل يهودى يدعى « بدريخ رايتسان » وهو نجل حاخام يهودى، وفى هذا إشارة إلى الدور المهم الذى قامت به الجاليات اليهودية المختلفة لدعم دولة إسرائيل .

شراء طائرات « مسرشميدتيم » كان بحاجة إلى تصديق القيادة العليا ، فقط رئيس حكومة تشيكوسلوفكيا ، وزير الدفاع ورئيس الأركان التشيكى هم يستطيعون السماح بعقد هذه الصفقة ،« أوتو فيلكس » ذهب لمقابلة « بدريخ رايتسان » نائب وزير الدفاع ومدير المخابرات العسكرية ، الذى كان زميله أثناء الدراسة .

«رايتسان » الرجل القوى فى تشيكوسلوفكيا كان يهوديا ، نجل حاخام ، لكن بعيد عن الصهيونية ، استقبل أوتو فيلكس بالترحاب ، وتبادل معه ذكريات المدرسة البهيجة ، ما أستطيع ان أفعل من أجلك ؟ سأل فى النهاية .

نحن بحاجة الى طائرات « مسرشميدتيم » ، قال فيلكس .

حك رايتسان رأسه .

« هذا ليس سهلا ، لكن سأرى ما فى وسعى أن أفعله ، هل لديك وقت للانتظار؟

ليس لدى وقت .

ابتسم نائب وزير الدفاع فى تفاهم ، توجه لكى يمهد الطريق أمام فيلكس نحو رجال القيادة وأوصى بإعطاء التصديق على بيع الطائرات، بعدما نجح فى الحصول على وعد بأن التشيك سيوافقون على بيع الطائرات ، استدعى فيلكس « ايهود

أفريئيل، وأجرى كليهما مفاوضات سريعة مع رئيس الأركان الجنرال « بدجيك بيوتشك » .

تم الاتفاق بأن التشيك سينقلون إلى اسرائيل ٢٥ طائرة مسرشميدتيم ، وسيحرصون على تدريب طيارين إسرائيليين فى تشيكسلوفكيا ، وسيقومون بإعداد طواقم البر ورجال الإتصال

بلغ حجم الصفقة ٩٠ مليون كارون .

السلاح والذخائر التشيكية كانت جاهزة للإرسال فى نهاية شهر مارس ، فى الوقت الذى تدهورت فيه الحالة الأمنية فى البلاد بسرعة ، فى الطرق الجنوبية وفى الطريق الصاعد إلى القدس تحركت قوافل محمية بمقاتلين مسلحين .

الكمائن فى الطرق والطرود فى خط المياه فى الجنوب كانت أمراًيومياً ، الحرب التى سبقت الحرب كانت فى ذروتها .

السلاح كان ضرورة ملحة ، وأراد « بن جوريون » أن ينقل إلى البلاد بطائرات نقل ، بعضه تحت غطاء شركة الطيران الداخلية ، قائد خدمة 'لطيران للهاجانا «أهارون رمز » الذى مع إنشاء سلاح الطيران فى وقت متأخر جداً سيصبح أيضاً قائده ، أطلق على العملية اسم بلق ، وشرح مصدر الاسم : بلق بن تسيبور استأجر« بلعام بن باعور» لكى يلعن اسرائيل ، لكن بلعام تلقى بركة ، ثلاث مرات حاولوا أن يلعنونا - العرب فى عمليات القتل الخاصة بهم ، البريطانيون فى انتهاك تعهداتهم ليكونوا محايدين ، والأمريكان فى إعلانهم عن حظر الأسلحة ، عملية «بلق» من أجل أن تلقنهم درساً .

طائرة نقل داخلية أولى هبطت فى تشيكوسلوفكيا ، الدكتور « تيلمان » ، نائب وزير الداخلية لتشيكى ، عين بواسطة حكومته كمسئول عن التزود بالسلاح ، لقد كان يهودياً حفظ فى داخله على توجه دافئ إلى (أرض إسرائيل) ، على كل صندوق

سلاح يتم الدفع من أجله ، أمر بشحن صندوق إضافى مجانى سراً ، رجال المخابرات السوفيتية ، الذين تابعوا شحنات الأسلحة ، كشفوا فعلته ، احتجوا أمام أولياء نعمتهم التشيك وطالبوا بتسليمه لأيديهم ، تيلمان هرب إلى فنزويلا فى الوقت المناسب ، زوجته وابنه لم يستطيعوا ، تم احتجازهم كرهائن فى أيدى الروس ، الذين طلبوا منه أن يعود كشرط لإطلاق سراحهم ، كان يعلم إنه سيقتل إذا عاد ورفض العودة ، آثار زوجته وابنه اختفت ولم يعرفوا أبداً .

تم التوقيع على الاتفاقية فى ٢٣ ابريل ، قبل ٣ أسابيع فقط من الغزو المخطط له من قبل الجيوش العربية للبلاد ، كان واضحا لكل المهتمين بهذا الأمر أن طائرات مسرشميدتيم لن تصل إلى إسرائيل حتى هذا التاريخ الحاسم .

مجموعة طيارين وصلت إلى المطار العسكرى فى التشيك فى بوديوفيتسه من أجل التدرب على قيادة طائرات « مسرشميدتيم » ، كان بينها رجال قسم الطيران فى البالماج وشركة « أفيرون » ، من خريجى سلاح الطيران البريطانى ومتطوعين ، أغلبهم من الولايات المتحدة .

ابتسم حلودق فى تفاهم وقال : « خذوا نصيحة جيدة منى ، احرصوا على ضرب الطائرات العربية على الأرض قبل أن تقلع ، تذكروا أنهم لو دخلوا معكم فى المعارك الجوية ، لاتوجد لطائرات المسرشميدتيم فرص كثيرة .

دور المخابرات البريطانية فى الحرب

يزعم المؤلف أن المخابرات البريطانية قامت بالتجسس على إسرائيل لصالح مصر نظراً للمصالح المشتركة بينهما .

فجأة لاحظ « ليهمان » امرأة فاتنة دخلت إلى البار ، نظرت إلى جميع الاتجاهات واستقرت فى النهاية بجواره .

لقد كانت كحيلة العينين ، تجاوزت الثلاثين ، شعرها أسود ، ناعم ، يتحرك

أحياناً ويغطى جبهة وجهها ، وهو ما أعطاها منظر ساحر وخلاب .

ابتدأت الحديث معه ، حكت له أنها ولدت فى لندن ووصلت إلى براغ بمناسبة احتفال عائلى على كأس شراب أحمر محى ، حكى لها أنه كان طياراً فى الجيش السويسرى ، وعلى الرغم من كونه غير يهودى هرب من أجل أن يتطوع فى سلاح الجو قيد الإنشاء فى (أرض إسرائيل) .

قامت بأخذه إلى غرفتها الفاخرة ، منظر جسدها المعطر ، العارى ، أدار رأسه ، وبدون وعى عندما كانت عينيه معلقتان بها برغبة ويديه تلاطف جلدها الساخن ، رد على كل أسئلتها ، أعطى تفاصيل عن رحلات الطيران إلى (أرض إسرائيل) ، محتويات الطائرات ، وذكر أسماء الطيارين وقادة القاعدة . وفى الصباح الباكر عندما أصيب رأسه بالدوار من الليلة التى أعطتها له ، عاد إلى مدينة زاتك بالضبط فى وقت استيقاظ الطيارين عندما أنهى تدريباته اليومية أسرع بالاستحمام ، ارتدى بدلة وسافر ثانية إلى براغ ، واستقبلته فى غرفتها وقبلته بحرارة وكشف عن حبه لها ، بعد يومين ومروريومين آخرين انتبه زملاؤه إلى غيابه فى الليل ، لارى ريف قبطان متطوع من الولايات المتحدة ، سأله إلى أين اعتاد على الاختفاء ، قال ليهمان : توجد لى صديقة فى براغ .

لم يقتنع ريف بهذا التفسير ، اقترح على أصدقائه من (أرض إسرائيل) فحص الملابسات الحقيقية لسفريات ليهمان المتكررة إلى براغ ، رجلين من الأمن أرسلوا فى عقبه ، رأوه يلتقى مع العاهرة الجميلة فى الفندق « الخستسيور » ، يتناول الطعام معها فى غرفة الطعام الفاخرة ، يعطيها هدايا غالية ، المال الذى أنفقه بسخاء جعله فى موضع شك بشكل أكبر ، رجال الأمن جمعوا المعلومات الممكنة عن المرأة التى يقضى الليل برفقتها ، واكتشفوا أنها عميلة المخابرات البريطانية ، افترضوا أن المعلومات التى جمعتها ستنقل بواسطة البريطانيين إلى أولياء نعمتهم المصريين .

تم ترحيل ليهمان على طائرة إلى باريس وتم تحذيره حتى لايخرج من فمه كلمة أخرى حول ماعرفه فى إسرائيل ، وتعهد بذلك ، لكن الإهانة ورغبة الانتقام كانت أقوى منه ، برفقة اثنان من ضباط المخابرات البريطانية وصل إلى مكتب ممثل الأمم المتحدة « رالف بنتس » فى قلب باريس ، وحكى هناك برغبته حول خط الإمداد السرى بين تشيكوسلوفكيا وإسرائيل ، عن عشرات الطيارين المتطوعين ، وعن أشياء أخرى كان على علم بها ، فى نهاية الحوار قال بصوت مؤثر : حياتى فى خطر ، أنا أطلب بكل لغات الطلب حماية الأمم المتحدة ، « رالف بنتس » تهرب من الإجابة .

هرب « ليهمان »إلى القاهرة ، هناك باع ذكرياته الى صحيفة المصرى بثمن كامل، حكى بشكل خاص حول طرق تهريب السلاح إلى إسرائيل وادعى أن الروس سمحوا بنقل شحنات السلاح من أجل الالتفاف حول الحظر الأمريكى .

بوثائق أصلية نادرة حصلت مكاتب الـ« إف . بى . آى » فى واشنطن على خطابات من مصدر مجهول تحتوى على أسماء الطيارين الأمريكيين المتورطين فى نقل السلاح إلى إسرائيل ، اعترافات « ليهمان » حركت سلطات القضاء الأمريكية بإصدار تعليمات بمحاكمة الطيارين المتطوعين، لكن وسائل الإعلام الأمريكية خصصت مكاناً صغيراً لذلك ، احتلت مزاعم ليهمان العناوين الهامة بأن الاتحاد السوفيتى ساعد إسرائيل من أجل الالتفاف حول الحظر الأمريكى .

على الرغم من قرب وقت رحيل البريطانيين من البلاد لازالوا متمسكين بسياستهم المؤيدة للعرب، لقد بذلوا جهوداً كبيرة لإلحاق الضرر بالقوة اليهودية ، تجريد أعضاء الهاجاناه من سلاحهم ، ومنعهم من الانتصار فى المعارك الدامية التى حدثت فى أنحاء البلاد ، كان هناك ايضاً قلة من الشواذ الذين أظهروا تعاطفاً مع اليهود .

بيت بئر كانت قرية عربية صغيرة سيئة السمعة ، كانت موجودة على هضبة مرتفعة فى المنطقة الجنوبية ، تم إرسال سرية من جفعاتى تحت قيادة يسرائيل زامير لمهاجمتها والسيطرة عليها ، بدأ الهجوم فى وقت الظهيرة، رد العرب بإطلاق نيران قوية وأصابوا مراسل قائد السرية ، زامير مجعد الشعر ونحيف ،شجع رجاله على الاستمرار فى الهجوم .

لكنه تراجع فورا عندما رأى ثلاث مدرعات بريطانية اقتربت بسرعة وتوقفت فى المنطقة التى بين القرية وجنود جفعتى ، وقد كان هذا الأمر متوقعاً : نزل من المدرعات الآن جنود بريطانيون مسلحون ، هم سيصادروا سلاح جنود السرية وربما أيضاً يأخذون معهم القائد للتحقيق .

فى أماكن مختلفة ظهرت ضرورة إخلاء مستوطنات كانت فى نطاق الخطر، شلومو (تسيتس) ليندنر (لهط) قائد سرية صغيرة فى جفعاتى أرسل مع جنوده إلى إحدى هذه المهام فى المنطقة الجنوبية ، لقد جمع ممثلى المستوطنة هر توف وأبلغهم أنه أرسل من أجل الإخلاء الفورى للمستوطنة .

قيام المنظمات الصهيونية بارتكاب مجازر ضد الشعب الفلسطينى

فى هذه الأثناء، سيطرت قوات الهاجاناه ، من خلال مجموعة هجمات جريئة على المدن المختلطة ، طبريا ، حيفا ، صفد وعلى مستوطنات عربية فى مناطق مختلفة ، جنود جفعاتى فجروا قيادة الزعيم العربى الأسطورى « حسن سلامة » ، الذى قتل فى وقت لاحق من قذيفة هاون فى منطقة رأس العين (روش هاعين) .

قائد آخر ، عبد القادر الحسينى ، قائد وحدة الجهاد المقدس قتل بأيدى المدافعين عن الحصن ، سرايا القوات الميدانية والبالماح ضربت جيش الإنقاذ فى منطقة « مشمر هاعمق » ، وبدأوا فى تطهير الجليل ، الجنوب وشمال النقب من الثكنات القتالية العربية .

الأنباء التى شاعت عن الهزائم فى المعسكر العربى ، سوياً مع الأنباء عن تمام الإخلاء البريطانى ، احتلال حيفا على أيدى الهاجاناه ، والأنباء الفظيعة عن مقتل ٢٠٠ من الرجال والنساء والأطفال العرب خلال هجمات منظمة اتسل على قرية دير ياسين أثارت الخوف فى التجمعات العربية ، وازداد معدل هرب سكانها .

اللاجؤون الذين وصلوا إلى مصر من (أرض إسرائيل) حكوا عن أعمال مطاردة وقتل وعن الضائقة التى يعيش فيها من تبقى خلفهم ، وكتبت المنشورات فى ساحات القاهرة « يافاروق أنقذ فلسطين » .

عمليات شراء السلاح الكبرى لمصر فى أوروبا أضاءت النور الأحمر فى قيادة الهاجاناه ، وضع السلاح المصرى الذى تضمن إلى جانب الأدوات القديمة أيضاً بطاريات مدافع حديثة ، كانت فى إطار الألغاز ، لم يستطع أحد من مسئولى المخابرات فى البلاد أن يحله ، لكن لم يكن هناك شك فى أن المصريين لديهم أسلحة كثيرة جداً ، من مصادر مختلفة تلقوا تقارير حول صفقات أسلحة مصرية جديدة يتم التوقيع عليها يومياً .

لم يكن من الواضح دائماً ما يشتريه المصريون ، لكن الواضح أنهم يشترون كثيراً، ويجب إيقافهم ، وكانت هناك فقط طريقة واحدة من أجل ذلك ، تسيفى أميتى ، رجل الهاجاناه القديم تم إرساله على عجل إلى روما من أجل أن يترأس شبكة من العملاء السريين من الاسرائيليين والأجانب ، وكان من المقرر إحباط محاولات العرب للتزود بالسلاح فى جميع أنحاء أوروبا ، كان من بينهم خبراء لجمع المعلومات ، خبراء فى المفرقعات من ذوى الخبرة دورهم شحنات الأسلحة المصرية ، ورجال يتقنون لغات الدول المختلفة ، كان أميتى واثقاً من أن هذا الطاقم سيقوم بالمهمة ، لكن الحظ لم يبتسم له ، وتتابع الفشل تلو الفشل ، المحاولات من أجل تدمير السلاح والعتاد التى كانت مخصصة للعدو لم تنجح، ووصلت شحنات الأسلحة بسلام إلى مصر .

وعندما كان غارقاً فى كآبة شديدة، تلقى تسيفى أخباراً مثيرة للاهتمام، عن توقيع صفقة شراء بين الشركة الإيطالية لصناعة الطائرات « ماكى » لعملية إمداد عاجلة لعشرين طائرة قتالية من طراز « ماكى ٢٠٥ »، كان من الواضح أن هذه الطائرات ستشكل قوة إضافية خطيرة لسلاح الجو المصرى، أرسل« أميتى » رجاله لمعرفة مكان عناصر تركيب الطائرات القتالية ، اعتقد أن مهمة التركيب تتم فى مطار بجوار قرية « فانجون » فى شمال إيطاليا ، أميتى وثلاثة من رجال مخابراته سافروا إلى ميلانو ، استأجروا سيارة وسافروا فى طرق ضيقة وملتوية إلى المطار ، وعندما وصلوا إلى هنا ، أظهروا أنفسهم كسائحين بريطانيين يريدون إجراء رحلات طيران للتنزه حول المنطقة ، اضطروا للانتظار حتى يتفرغ طيار حتى يصحبهم ، وفى هذه الأثناء تصادقوا مع مدير المطار ، قدموا له السجائر الأمريكية كعلامة على تقديرهم له ،وساروا معهم فى المنطقة ، وعندما وصلوا إلى المبنى الذى ركبوا فيه الطائرات الحربية المصرية ، قام بإيقافهم وقال : هنا غير مسموح بالدخول ، هذا يخص العرب .

فى غداة اليوم التالى ليلا وصل إلى هناك رجال الهاجاناه بشحنات ناسفة ، نسفوا الجدار ، زحفوا حتى المبنى ودخلوا إلى الداخل من خلال نافذة بلا زجاج ، كان هناك خمسة طائرات حربية فى مرحلة التركيب النهائى ، التى حملت علامات الخاصة بسلاح الجو المصرى ، فى حوالى منتصف الليل أنهى متخصصوا المتفجرات مهمتهم وتركوا المنطقة . سافروا إلى ميلانو واختفوا هناك بين الجماهير التى خرجت إلى عملها مع الصباح .

الإشارة إلى الفساد الموجود فى الجيش المصرى

البكباشى (مقدم) محمد نجيب البالغ من العمر سبعة وأربعين عاما ، متوسط القامة وصاحب هيكل جسم قوى ، كان ملاكم محترف تصارع فى صيف ١٩٤٤ فى تل أبيب مع الملاكم الإسرائيلى اميل – أفينرى ، وهزم بالضربة القاضية ، ليس

مثل ضباط الجيش الآخرين ، الذين كانوا مشغولين فى الغالب بألعاب شرفية والجرى وراء الأموال والمتع ، كان لنجيب نظام أولويات أخر .

جده وأبيه كانوا ضباط فى الجيش المصرى ، وهو نفسه كان قائداً على نوبة حراسة على الحدود المصرية ، الفساد الذى استشرى فى الحكومة والجيش أخرجه غير مرة من ملابسه العسكرية ، أمام كل من كان مستعدا للسماع اشتكى من أصحاب الأراضى الذين حصلوا على إعفاءات مبالغ فيها فى الضرائب مقابل رشوة ودفعوا أجرة معيشة لمزارعيهم .

اعتقد أنه ينبغى اتخاذ خطوات فورية لتقليص حجم البطالة وإيجاد فرص عمل مناسبة لخريجى الجامعات الذين تجولوا عاطلين ومحبطين ، أيد أيضاً إبعاد رئيس الأركان الفاسد « إبراهيم عطا الله » ، ولى نعمة « فاروق » ، الذى منح وظائف مرموقة فى الجيش لأبناء عائلته ، أحاط نفسه بالنساء ، تجول فى النوادى الليلية وأخذ أموال وهدايا مقابل إيجاد فرص عمل للمقاولين فى معسكرات الجيش .

يعود الكاتب إلى الزاوية الموضوعية فى كتاباته ويشير إلى استبعاد رئيس الأركان الفاسد ، وتعيين « عثمان المهدى » بدلاً منه .

عندما اتضح أن « عطا الله » ليس عاقلاً لكبح أعماله ، وحتى جنوده يحتقرونه ، طلب منه فاروق الاستقالة، وتم تعيين رئيس أركان جديد مكانه « عثمان المهدى »، توقع نجيب أن يأمر بإجراء تحقيق فى أعمال الفساد لسابقه، وإذا كانت هناك ضرورة يتم تقديمه للمحاكمة ، لكن المهدى خشى من أن يؤدى التحقيق فى أعمال الفساد إلى الملك، وفضل أن يغلق هذا الموضوع، نجيب جز على أسنانه وصمت، التجنيد السريع للمعتقلين وفقاً لتعليمات القيادة العامة كانت على غير هواه ، لكن فهم أنه ليس هناك مفر من ذلك، الخدمة العسكرية كانت مفروضة على الشباب من عمر الثامنة عشر وحتى الخامسة والعشرين، أنظمة التجنيد عانت

من عيوب التنظيم والفساد لسنوات طويلة، كثيرا من المجندين حصلوا على إعفاءات لأسباب صحية، لم يمثلوا للخدمة أبداً، أو دفعوا رشوة مقابل الإعفاء من الخدمة .

لكن أيضا ليس كل هؤلاء الذين تم تجنيدهم تم إرسالهم إلى خدمة عسكرية كاملة ، جزء كبير منهم تم تجنيدهم فى وحدات « شرطة النظام » ، قمع المظاهرات اعتقلت وعذبت رجال الحركات الثورية، من بين المجندين الذين أرسلوا إلى الوحدات العسكرية سقط الكثير أثناء التدريبات بسبب تخلف عقلى وأمراض قديمة وحديثة عشية غزو (أرض إسرائيل) طلب الجيش المصرى القوة البشرية ، وجمع من كل القادمين بجانب القرويين والمدنيين ، وأيضا جزء من المعتقلين الذين تكدست بهم السجون العسكرية، تم تجنيد مقاتلين سودانيين ووقعوا على اتفاقيات لمدة نصف عام وأخذوا رواتب مناسبة .

الحالة الجسمانية للسودانيين طويلو القامة وذوى البشرة السمراء، وأيضا قدرتهم القتالية كانت أفضل من الجنود المصريين .

ومعهم أيضا التحق بالقوات المصرية أيضا جنود سعوديون ، وكان من المقرر أن يدفع رواتبهم البيت الملكى السعودى،أضيف لكل هؤلاء وحدات من حرس الحدود، من بينهم راكبى الجمال، الذين أساس خبرتهم منع التهريب ، كتيبة واحدة فى سلاح الغزو تكونت كلها من متطوعين من « الأخوان المسلمين » .

الأميرالاى (اللواء) « أحمد على المواوى» ، قائد قوة الغزو المصرى ، دعا «نجيب» بسرعة إلى مكتبه فى غزة ، القائد القصير القامة والممتلئ الجسم أرسل إلى « نجيب » نظرة مودة .

قال« تحياتى »، بشره بأنه قرر ترقيته إلى رتبة قائمقام (عقيد) وتعيينه نائبا له

تلقى « نجيب » البشارة بعدم اهتمام .

تعجب « المواوى »وقال اعتقدت أنك ستفرح .

رد نجيب بصوت حزين« من الصعب لى أن أفرح » .

لماذا ؟

لأنه فى كل الجيش المصرى توجد ، حسب علمى بصعوبة أربعة كتائب قادرة على الحرب ، كل الباقين يجب أن يجتازوا كثيراً من التدريبات من أجل الوصول إلى المستوى المطلوب

٢٤ ساعة قبل الموعد من المقرر أن يبدأ سلاح الغزو المصرى فى الدخول إلى العريش نقطة القفز إلى الحرب ، امتلأت طرق سيناء من القوافل الأخيرة من وحدات الجيش المصرى فى طريقها إلى نقطة الالتقاء ، من المركبات لوح جنود متحمسون بالأعلام (أحمر – أسود – أبيض) ، متوقعين المديح الذى تعهد به لهم قاداتهم عندما يحتلون تل – أبيب ، شاحانات كبيرة تقدمت المدرعات والدبابات، مدافع مغاطاة بالشادر تم سحبها على وجه الأسفلت ، فى قاعدة سلاح الجو للعريش أقلعت وهبطت طائرات « سفيتفير » فى طلعات تدريب أخيرة

الاعتمادات المالية من أجل توفير ميزانية الحرب

عشية الغزو خصص البرلمان أربعة ملايين جنيه مصرى لتمويل الحرب ، تم إعداد لوائح لفرض رقابة على وسائل المواصلات ، لتدقيق الرقابة على الحدود ، واعتقال الأشخاص الذين من الممكن أن يعرضوا أمن الدولة إلى الخطر فى هذا الوقت الخطير .

نشر بيان فى صحيفة الأهرام عن احتفال فنى سيتم إعداده فى نادى « الإخسلسيور» لجمع التبرعات المالية لدعم مقاتلى فلسطين ، رجال الأعمال والشركات التجارية ساهموا فى صندوق الحرب بدون تحمس ، التبرعات كانت قليلة وتم ضخها بكسل بإستثناء ذلك سارت الحياة كالمعتاد ، كأنه لم يحدث شيء .

فى رفح أكمل حوالى ٦٠٠٠ آلاف مصرى الاستعدادات الأخيرة للحرب ، الكتيبة الثالثة بقيادة القائمقام (العقيد) محمد نجيب ، التى كانت مكونة من رجال عسكريين نظاميين ومن جنود احتياط ، كان من المقرر احتلال مستوطنة « نيريم » وبعد ذلك بقية المستوطنات الإسرائيلية بالتتابع فى المنطقة .

قوة ثانية بقيادة البكباشى (المقدم) أحمد عبد العزيز ، كانت تهدف إلى تطهير النقب الشرقى من الوجود الإسرائيلى ، السيطرة عليه، والهجوم تجاه بئر سبع ، الخليل وبيت لحم ، من أجل الانضمام هناك إلى قوات الفيلق، هذه القوة كانت مركبة فى الأساس من وحدات الإخوان المسلمين الذين وصلوا من مصر للمساعدة فى الحرب ومنيت بإخفاق أولى عندما حاولت احتلال « كفار دروم » .

الاستعدادت فى الجانب اليهودى لدخول الحرب

فى تل أبيب شاع جو من القلق الشديد فى غرفة جلسات « مجلس الشعب المؤقت »الغالبية العظمى لـ٣٧ من أعضاء المجلس ، الهيئة العليا من الاستيطان اليهودى ، اجتمعوا لمناقشة عاجلة تجاه الأنباء حول الاستعدادات المتزايدة لغزو الجيوش العربية ، أطلعهم « بن جوريون » على الصعوبات فى الإسراع بشحنات السلاح ، حكى بن جوريون عن موجة التسلح والتدريبات فى الدول العربية ، فى الوقت الذى تعانى فيه الهاجاناه من العجز الشديد .

قال يجآل يادين وهو شاحب وخائف : قواتنا الجوية لاتدخل حيز المقارنة مقابل قوات العدو ، الطائرات لم تصل بعد، عدد طائرات البلاد العربية تقدر من مئة ضعف حتى مئة وخمسين ضعفاًأكثر من قواتنا، فى هذه اللحظة تعمل طائراتنا ضد كل قوانين الجو والحرب ، أى طيار عادى لم يكن يجرؤ على التحليق بهذه الطائرات ، هذه طائرات قديمة ، فى أغلبها طائرات تجول وتعليم ، مع وجود تهشم وعيوب كبيرة جداً ، ونحن نوجد لآن فى وضع سيئ جداً ، ومن الأفضل ألا نعتبرهم عنصر عسكرى فى الحسبان .

ارتفع صوت بن جوريون « الطائرات الحربية هى الأشياء التى نحتاجها الآن أكثر من أى شيء آخر » .

قال رجال القيادة العامة الذين جلسوا أمامه أن الاتصالات من أجل شراء هذه الطائرات فى أوروبا وفى جنوب أمريكا مستمرة بدون انقطاع ، لكن حتى الآن بدون نتائج ، وحينئذ سأل أهارون رمز ، قائد « الخدمة الجوية » :

وماذا عن تشيكوسلوفكيا ؟

هم يصنعون فقط نوع واحد : مسرشميدتيم ، مثل هذه التى استخدمها الألمان فى الحرب العالمية .

ما المشكلة فيها ؟

ليست مشكلة واحدة ، مجموعة من المشاكل الفنية ، طائرات السفيتيريم التى يمتلكها العرب أفضل مئة مرة .

قال بن جوريون ، ولكن نحن لانستطيع شراء طائرات السفيتيريم .

قال رمز : إذا لم يكن هناك اختيار فلتكن طائرات « مسرشميدتيم » .

أجرى بن جوريون اتصالاً مع شفيمر وحكى له ، أنه اصدر أمرا بمحاولة شراء طائرات « مسرشميدتيم » ، أصيب شفيمر بالصدمة وقال « لاتلمسوا هذه الطائرات ، إنها خطر » .

هل تستطيع أن تمدنا بطائرات حربية أخرى ؟ قاطعه بن جوريون بقلة صبر ، لقد علم مسبقا ما هو الرد . فى هذا الوقت لا ، تمتم « شفيمر » .

تحرك القوات العربية نحو فلسطين

١٤ مايو كان اليوم الأخير للإنتداب البريطانى فى (أرض إسرائيل) ، الممثل الأعلى ، السيد « ألون كننجهام » ، أخذ على متن طائرة فى وقت الصباح بملابسه

العسكرية من القدس حتى رامات دافيد سوياً مع ضباط القيادة البريطانية ، من هناك سافر إلى ميناء حيفا ، أزالوا العلم البريطانى من على الصارى، وصعدوا على ظهر السفينة « أورليوس » التى رفعت المرساة على صوت البوق وإقلاع اثنتا عشرة طائرة من طراز « سفيتفيريم » أثناء أداء الخدمة العسكرية، هذه كانت اللحظة التى تتمناها الجيوش العربية، فى سوريا، فى لبنان ، فى الأردن وفى العراق بدأ تحرك القوات تجاه (أرض إسرائيل) ، فى رفح اجتازت قوات الغزو المصرية الحدود ، الجزء الأكبر منها يممت شطرها تجاه الشمال ، إلى قلب الدولة ، كتيبة واحدة استعدت للتوجه للشرق تجاه بئر سبع .

على مايبدو لم تقف عقبات تقريباً فى طريق القوة المصرية، اللواء الجنوبى من البالماح ، التى كانت مهمته الدفاع عن المستوطنات المتناثرة فى المنطقة ، عانى من عجز فى القوى البشرية المدربة ، من غياب معلومات استخبارية دقيقة ، ساد جو من الإضطراب فى القيادة العامة ، طرح عدد من كبار الضباط تقديرات متعارضة حول جهة توجه المصريين ، لم يكن من الواضح لأحد إذا كانت نية الغزاة التقدم إلى الشمال على محور الساحل ، أو التركيز على احتلال النقب .

نائب رئيس الأركان « تسيفى أيالون » اعترف أمام رجال القيادة العامة :

إذا قلت الحقيقة أنه لاتوجد لدينا فى الواقع أية خطة ، اقترح متابعة تقدم الغزو ، وبعد ذلك نقرر ماذا نفعل .

توضيح أهمية المستوطنات اليهودية فى جنوب النقب .

المستوطنات فى جنوب النقب لم تهدف فقط أن يتم استخدامها كخط دفاع أول، ولكن أيضاً من أجل معرفة توجه المصريين ، اللواء جفعاتى ، الذى كان مسئولاً عن منطقة الجنوب ، لم يكتفى بإداء رأيه حول طرق وقف الجيش المصرى وتركز أغلبه فى منطقة بئر طوفيا ، بعيداً عن الجبهة .

قال القائد المصرى لضابط المدفعية : أطلق النار ، اطلق النار على القافلة والكيبوتس .

ضابط المدفعية أمر بتوجيه المدافع وقذائف الهاون نحو الأهداف وأعطى الأمر بإطلاق النار ، قبل كل شيء تم توجيه دفعة بدقة من النيران نحو القافلة واحترق جزء من المركبات بالنيران ، نجحت شاحنة واحدة فى الخلاص من المصيدة الرملية والوصول إلى الكيبوتس ، بالطبع بقى بجانب الشاحنات المحترقة عشرات من جنود الدعم الذين أرسلوا إلى مصيدة النيران ، مثل المدافعين عن مستوطنة كفار داروم ودعوا الله أيضاً أن تحدث معجزة ، وحقاً حلقت طائرة « أوستر » إسرائيلية فى السماء المشرقة ، حلقت فوق بطاريات المدافع المصرية وألقت عدة قذائف أثارت الخوف فوراً، فى الاضطراب الذى حدث توقفت المدافع عن إطلاق النيران .

الحالة المزاجية للقائم مقام (العقيد) محمد نجيب ، نائب قائد القوة المصرية الغازية ، كانت سيئة ، وقلبه كان يؤلمه ، لقد علم أن القاهرة تتوقع الإعلان عن احتلال الكتيبة السادسة نيريم وتحقيق أول انتصار على أرض فلسطين ، ولم يكن لديه شك فى أن التقرير الذى سيرسله سيكون موضع استياء الملك ووزرائه .

تشويه صورة الجيش المصرى فى الرواية

وبعد فترة وجه الطيارون المصريون طائراتهم تجاه محطة الأوتوبيس المركزية فى جنوب المدينة .

فى نفس الوقت كان هناك على أرصفة المحطة مئات الركاب ، الذين بدأوا فى الهرب عند رؤيتهم للطائرات ، الكثير منهم لم يستطيعوا الحصول على ملاذ فى الوقت المناسب ، القذائف التى ألقيت فى وقت واحد ودفعة واحدة من كلتا الطائرتين أصابت قلب المحطة وزرعوا الدمار والموت ، ٤٢ قتيل وأكثر من

١٠٠ مصاب بقوا على الأرصفة المفحمة عندما اتجهت الطائرات من هناك إلى ميناء تل – أبيب .

دعا المصريون المدافعون عن نيتسانيم للخروج من مواقعهم وأيديهم على رؤوسهم، من المواقع المحطمة، من داخل أنقاض سقوط المبنى الحجرى اندفع رويدا رويدا مقاتلون متعبون ، مكبوحون ، مصابون وينزفون دماً ، ظهرت الدموع فى أعينهم .

هل هؤلاء هم الجميع ؟ سأل الضابط المصرى عندما أحصى عدد الإسرائيليين المغضب ، ظنناكم أكثر بكثير .

الجنود المصريون خلعوا ساعات الرجال وخواتم النساء ، أجبروهم على الانبطاح على الأرض فى الوقت الذى قاموا فيه بضربهم باللكمات ومؤخرات البنادق دون توقف .

كلا الطيارين المصريين، اللذين حلقا بطائرات « سفيتفيريم » مسلحين ومشحونين بقذائف من مطار العريش ، شقوا طريقهم بأمان على طول الساحل ومروا فوق وحدات الجيش المصرى التى تحركت شمالاً، أشرقت شمس الربيع فى السماء الزرقاء الصافية ، وحلق الطيارن الشابان بفرحة تجاه هدفهم بدون أى خوف ، لقدكانوا يعلمون أنه لن تواجههم أية طائرة ، لسبب بسيط أنه لم يكن لدى الإسرائيليين أية طائرات من هذا النوع .

لم يخشوا من مدافع مضادة للطائرات، لأنها لم تكن هناك أيضا ، الطلقات المنفردة التى أطلقت تجاههم من الرشاشات اليائسة على البر أضحكتهم ، عندما وصلوا إلى سماء تل أبيب ، قادوا طائراتهم كأنما كل الوقت فى أيديهم ، حلقا فوق مركز المدينة ، يصعدان ويهبطان بالتناوب، مستمتعان بنشر الخوف ، خلت الطرق مرة واحدة وبحث الرجال عن ملجأ فى السراديب وفى غرف السلالم .

فى طريقهم للعودة إلى العريش أفرغت الطائرات المصرية بقية القذائف ، وقذائف المدفعية على القاعدة العسكرية ، معسكر الحمامة ، على ساحل بحر تل أبيب، فى نفس الوقت ظهر هناك دافيد بن جوريون على بث إذاعة شبكة راديو أمريكية، الطائرات اختفت مثلما جاءت ، تاركة وراءها شعوراً من الإحباط العميق والعجز .

القذائف من الجو استمرت أيضاً فى الأيام التالية دون توقف ، تم قصف مبنى تحرير جريدة « هاآرتس » فى تل أبيب وقتل أربعة من عمال الطباعة ، قصفت أيضا المنازل السكنية فى شمال المدينة ، وتضرر أيضاً مطار دوف، الذى هبطت فيه عدة طائرات خفيفة ، منظومة الدفاع الجوية للمطار التى كانت مزودة بسلاح خفيف ، لم تنجح فى إصابة طائرات العدو .

وصل اليوزباشى (النقيب) زكريا محيى الدين وهو يتصبب عرقاً ويجد صعوبة فى التنفس إلى قيادة الكتيبة الأولى الموجودة أمام يد موردخاى ، وغضب بسبب عدم وجود معلومات فى قيادة الكتيبة حول التشكيلات الإسرائيلية، قائد الكتيبة الصاغ (الرائد) سيد طه بك ، استجاب لطلبه لعمل جولة سريعة فى المنطقة، بشرط أن تعود فى وقت الظهيرة ، قال فى القاهرة يضغطون علئ من أجل البدء فى الهجوم بحيث ألأ أتأخر عن الساعة (الثالثة – العاشرة) صفر صفر .

صوت صلاوات مختلطة بالبكاء وقف أمام المقبرة ، أحياناً حمل فى الجو ضوضاء تلقى الخوف، الذى زاد وعظم، كل العيون تطلعت إلى الأعلى ، وتناقصت دقات القلوب ، فى السماء الزرقاء ظهرت طائرتان « دكوتا » مصريتان ، اللتان شقتا طريقهما من الجنوب إلى الشمال، الأولى التى طارت على سطح المدينة الحزينة واقتربت من تل أبيب . الثانية بدأت فى الطيران لأعلى طارت وراء أهداف للقصف .

فى أقل من ثلاث دقائق بعد ذلك كانت الطائرة الأولى فوق تل أبيب ، أسرع

المواطنون الخائفون فى الاختباء وراء الجدران الواقية لمنازلهم، الآخرون نظروا إلى الطائرة صامتون من الخوف، القنابل من الجو أصابت المدينة بشدة ، أسقطت ضحايا، دمرت منازل زرعت اليأس، بالنسبة إلى المصريين كانت مهمة إلقاء القنابل على تل أبيب مهمة سهلة ، رحلة طيران لاتحتوى على مخاطر حقيقية، قدروا أن عدد طائرات المسرشميدتيم 'لذى لدى سلاح الجو الإسرائيلى صغير، وهى تعمل فى الأساس فى مهام على خصوط الجبهة، الرشاشات التى صوبت من الأرض تجاه المهاجمين لم تنجح حتى فى خدش الطائرات المصرية .

خرج محيى الدين مع مجموعة من الجنود فى جولة سريعة ، وعندما عادوا أبلغوا عن الحوائط المحيطة بالكيبوتس، على المواقع التى بعضها محصن ، على انطباعهم بأن الإسرائيليين مسلحين فقط بالبنادق ، بنادق ستانيم وعدد من الرشاشات فقط .

مهاجمة مستوطنة « يد موردخاى » والحرب النفسية

استؤنف القذف المصرى بالضبط بعد مرور ساعة من إلقاء المنشورات ، فى الكوخ الجنوبى ، حل « بنحاس مرمور » مكان « يتسحاق فلدمان »، القائد الذى أصيب من شظايا القذيفة ، نظر بالمنظار إلى مزرعة الموز التى استعد فيها المصريون للقتال .

نادى من المزرعة «استعدوا هم قادمون » ، منتشرين على مسافة عدة مئات من الأمتار ، بدأ جنود الكتيبة المصرية الأولى فى التقدم تجاه الكيبوتس بسير منتصب، الضباط ساروا أمامهم ، يلوحون بمسدساتهم ويصرخون : عليهم ، كل شيء بدا مثل تدريب هجوم نقل من كتاب إرشاد عسكرى قديم .

عندما اقترب الجنود بمقدار مائة متر من الجدران الشائكة، توقفت المدفعية المصرية عن القذف من أجل عدم المساس بالمهاجمين ، أعطى « بنحاس مرمور » أوامره بإطلاق النيران دفعة الطلقات كانت دقيقة وقاتلة ، أصيب كثير من الجنود

المصريين قبل أن يستطيعوا استخدام سلاحهم ، وارتفعت صيحات الألم والخوف من الميدان، حاول الضباط تشجيع الجنود ولكنهم لم يستمعوا لهم .

الرغبة فى الحياة ، فى البقاء ، كانت أقوى من الجميع ، القتلى والمصابون بقوا فى الميدان عندما هرب المصريون باتجاه هضبة صغيرة وجدوا ملاذا وراءها .

تنفس المدافعون عن مستوطنة « يد موردخاى » الصعداء ، لكن ليس لفترة طويلة ، قوة مصرية أخرى هجمت فجأة من مزارع الموز ، هذه المرة تقدم الجنود بحذر أكثر ، حاولوا الهجوم واضطروا للانسحاب مرة أخرى ، الهجوم الثالث لمئات الجنود الذين لم يتأخروا فى المجيء كان يستهدف فى الأساس المعقل الشمالى من الكيبوتس .

تنازل الضباط المصريون عن المواقع الأمامية فى الهجوم وهددوا بقتل كل من يحاول الإنسحاب ، وقد نفعت هذه الحيلة هذه المرة ، أغار المهاجمون تجاه مواقع الكيبوتس وهم يطلقون النيران بدون توقف ، عندما رأى « بنحاس مرمور» بأن المصريين على وشك حصاره نادى رجاله بجمع السلاح والذخائر والانسحاب إلى وسط المزرعة ، هجم المصريون على المعقل الخالى ودخلوا إلى داخله بصيحات فرح، صعد عدد منهم على السطح الأسمنتى وبدأوا فى الرقص ، هزمنا اليهود ، صاحوا بكل قوتهم الله أكبر .

تحت ستار غطاء من الدخان بدأ جنود المشاة من الكتيبة المصرية الأولى ، فى التقدم تجاه الكيبوتس ، حائرين ، أطلق أفراد كيبوتس يد موردخاى النيران فى كل اتجاه ، على أمل أن يصيبوا المهاجمين على الرغم من كل هذا .

اقترب المصريون من الجدار وبدأوا فى فكه ، لكن فى ذلك الوقت بالضبط ، مثل العصا السحرية الخفية ، جاءت الرياح فى النهاية ، وفى غضون دقيقة أو اثنتين تبدد ستار الدخان وظهر الجنود المصريون بوضوح ، مرتبكين مثلما قبض عليهم

مكشوفين علانية ،أطلق المدافعين عن يد موردخاى النيران مثل المجانين وأصابوهم من مدى قصير ، تم إلقاء القنابل اليدوية من المواقع تجاه المهاجمين ، ونشرت قذيفة هاون صغيرة بينهم عشرات القنابل .زاد عدد المصابون والقتلى المصريين بسرعة ، وعندما اتضح أن من بين القتلى قائد كبير، يوزباشى (النقيب) «محمد الموجى»، بدأ الباقون على قيد الحياة فى الهرب ، محاولين الهرب من النيران الإسرائيلية التى لاحقتهم .أثار الانسحاب الخوف أيضاً بين القتلى الذين احتلوا المعقل الجنوبى ، وأخلوه وهربوا عندما فهموا أن زملاءهم لن ينجحوا فى احتلال بقية المواقع الإسرائيلية .

مع بزوغ الفجر تم استدعاء اليوزباشى (النقيب) سعد الجمال ، قائد سرية فى الكتيبة السابعة ، لقيادة الكتيبة ليس بعيداً من يد موردخاى ، وقد حلت كتيبته محل الكتيبة الأولى بعدما تكبدت خسائر فادحة فى الهجوم على « يد موردخاى » ولم تنجح فى احتلال الكيبوتس

انتظره قائد الكتيبة فى مكتبه بفارغ الصبر ، وقال ! أنا أريد تكليفك بأهم المهام التى قمت بها أثناء حياتك ، وضع يده عى كتف الضابط البالغ من العمر ثمانية وعشرين عاماً ونظر إليه نظرة دافئة ، انت وجنودك ستقودون الهجوم الجديد على الكيبوتس ، أنا أعتمد عليك ألا تعود إلى هنا قبل أن تحتل المنطقة .

أظهرت الرواية حرص بن جوريون الشديد على التمسك بالأرض وعدم التفريط فى أى شبر منها، وخوفه من تكرار الانسحاب الذى حدث فى مستوطنة يد موردخاى فى مستوطنات أخرى .

سمع بن جوريون من مكتبه بغضب وخوف التقرير حول ترك « موردخاى » بواسطة المدافعين عنه ، الوضع فى الجبهات المختلفة كان خطيراً ، فى الشمال هاجم السوريون مستوطنة عمق هيردن ، والعراقيون فى الجسر ، فى لطرون أحبط الفيلق الأردنى الهجوم الذى كان يستهدف شق الطريق إلى القدس ، كانت

مستوطنة « يد موردخاى » هى المستوطنة الإسرائيلية الأولى التى تم مغادرتها فى أعقاب الهجوم المصرى ، وبن جوريون خاف أيضاً من انسحاب المدافعين فى مستوطنات أخرى ،كتب فى يومياته :

هربت مستوطنة يد موردخاى ولاتريد العودة على الرغم من الأوامر ، أعطيت تعليمات بإعطائهم دعماً وإجبارهم على العودة .

سارت هيئتان آدميتان بسرعة وحرص فى حقول كيبوتس جفر – عم عبر خطوط مواقع الجيش المصرى فى ليلة ٢٢ مايو ، دافيد مزراحى وعزرا حورين كانا أعضاء القسم العربى فى البالماح ، من قدامى المستعربين ، خبراء فى أساليب اللغة العربية ولهجاتها المختلفة ، فى الماضى خرجوا أكثر من مرة متنكرين كالعرب ، لتنفيذ مهام مخابراتية وعمليات تدمير فى المستوطنات العربية المعادية ، زعم الادعاء الرسمى أن مهمتهم الحالية ، فى مهمة شعبة المخابرات للقيادة العامة ، كانت التسلل بين صفوف العدو والتوصل إلى معلومات كثيرة بقدر الإمكان عن جيش الغزو المصرى .

يشير الكاتب فى الفقرة التالية إلى اتباع سلطات التحقيق المصرية فى غزة لأساليب وحشية وطرق تعذيب من أجل انتزاع الاعترافات من المتهمين .

كليهما أسمر الشعر وصاحب بشرة سمراء ، ارتدوا الجلاليب العربية ونجحوا فى عبور الخطوط المصرية الأمامية دون أن ينتبه لهم أحد .

ولكن ساء حظهم فور بزوغ الفجر ، أوقفتهم دورية مصرية وهما يتجولان بجوار نقطة تجمع عسكرية وأرسلتهم للتحقيق فى غزة . قام المحققون بتعذيبهم بوحشية حتى أخرجوا من فمهم اعتراف بأنهم يهود ، مبعوثو المخابرات الإسرائيلية ، ولكن هذا لم يكن كافيا ، بعد سلسلة من التعذيب الإضافية أجبروهم على كتابة اعتراف بأنهم أرسلوا من أجل تسميم بئر المياه فى غزة .

خارج المستوطنات والقرى التى تقع جنوب تل أبيب ظهرت فى غداة اليوم التالى منشورات تدعو إلى التجنيد ، أقيمت مراكز التجنيد فى كل مستوطنة ، فى غضون أربع وعشرين ساعة تم تسجيل أكثر من ثلاثة آلاف رجل للعمل ، بعضهم من العاملين فى المخابز ، من العاملين فى منتجات الألبان والبيض ، وكان يجب إعادتهم إلى منازلهم بالقوة حتى لايتضرر نمط الحياة .

فى يوم ٢٥ مايو بدأ العمل بكل قوة : يزهار سميلانسكى (س. يزهار) مدرس وأديب من رحوفوت ، ضابط مخابرات فى اللواء جفعاتى ، وقف متعجباً أمام آلاف الرجال الذين هجموا فى ظلام الليل كنمل يعمل فى الطرق المتوجهة من رحوفوت جنوباً وغرب أيسدور ، كتب فى مذكرته الكلمات التالية ، التى فى وقت متأخر جداً خرجت إلى النور فى كتاب قصصه « تسداديم » (مقتطفات) ، هذا قاتم جداً مظلم جداً ، لايشعلون الأنوار ، لكن الظلام ليس الشيء الصعب ، الشيء الصعب هو هم ، المصريون ، هم قادمون وتقريبا لاشيء يمنعهم ومن هنا حتى تل أبيب ، الكل متاح .

أحصى مجموعة ضباط مصريون السلاح القليل الذى جمع من رجال المستوطنة ، كان هناك عدة بنادق، رشاش واحد، بنادق ستانيم قلائل وقاذف بيات ، خرج من إجمالى العملية ، فى داخل قلبهم تعجبوا من أن الجيش المصرى احتاج إلى قوات مشاة ، مدرعات، مدفعية وطائرات حتى يتغلب على عدد قليل من الرجال وقلة من السلاح .

استعد نافخوا الأبواق فى الكتيبة المصرية فى الصف ونفخوا فى الأبواق، الأسرى نقلوا على الشاحنات وسافروا إلى المجدل ، حاول الجمهور الذى رأهم فى الخارج القيام بهجوم عليهم ، لكن الجنود بدأوا فى إطلاق لنيران فى الجو، ومنعوا أية محاولة للاقتراب من الشاحنات ، الأسرى نقلوا إلى محطة الشرطة ، هناك قام بتصويرهم مصورون صحفيون مصريون ، وبعد ذلك أخذوا إلى

العريش،« دفورا أفشتين » أصيبت إصابة بالغة فى بطنها ، أبقوها فى شرطة مجدل وتوفيت هناك من إصابتها .

من العريش نقل الأسرى فى القطار إلى القاهرة ، يرافقهم جنود مصريون مسلحون ، أكثروا من ضربهم وشتمهم ، الدكتور « فرلموتر » طبيب الكيبوتس وبخهم ، ردوا عليه بضربات مقابض البنادق التى كسرت ضلوعه وضربوا رأسه حتى نزف جسمه كله بالدم .

أثناء الحرب سيطر جنود قائد السرية « كراوس » على موقع مدفعجى من طراز « فيكرس » الثقيل . « كراوس » أمر المدفعجى المصرى بتوجيه مدفعه نحو المصريين ، الجندى رفض ، فقام « كراوس » بغرزه بخنجر ، وكان الجندى مثل من ركبه عفريت وبدأ فى إطلاق النار نحو زملائه .

على الرغم من عدد المصابين المتزايد استمرت الحرب بلا توقف ، فى جزء من المواقع أظهر المصريون معارضة قوية وفقط بعدما تم استدعاء الاحتياط لقائد السرية « بن بارئون » بدأ التشكيل المصرى فى الانهيار ، الواحد تلو الآخر بدأ سيطر جنود جفعاتى على المواقع المصرية وقاموا بتطهيرها ، قائد السرية شلومو (تسيتس) ليندنر ، أظهر فى الموقع الذى تم احتلاله مركبات كثيرة ، معدات وملابس جديدة بكثرة ، هو أزال ملابسه البالية وارتدى ملابس عقيد مصرى وعندما استمر فى تمشيط الموقع ، أكتشف لدهشته فى احد المواقع فتاة ترتعد من الخوف ، نادته عندما أسرعت اليه « ستنقذنى » واثقة أنه ضابط مصرى ، كشف تسيتس إنها عاهرة أتت من القاهرة لتسلية وقت الضباط فى الموقع .

الجهود اليهودية للحصول على السلاح والطائرات أثناء الحرب

فى إطار كبير من السرية غمر مجيء طائرات « المسرشميدتيم » الأوائل للبلاد ، فى صباح ٢٩ مايو ، تم تركيب الطائرات بسرعة وأخفيت فى كراجات المطارات

فى تل نوف حتى لاتكتشفهم طائرات العدو ، تمنى الجميع أن ظهور الطائرات فى ميدان القتال ستفاجئ الجيوش العربية وتزعزع ثقتهم .

فى مبنى القيادة فى تل نوف تم إعداد مأدبة متواضعة فى يوم وصول الطائرات ، حضر فيها أيضا الطيارون الإسرائيليون والأجانب ، رفع قائد سلاح الجو «أهارون رمز» كأس من الخمر بمناسبة الإنجاز ، بعد ذلك قال بصوت احتفالى : بهذا أنا أعلن عن إقامة سرب القتال الأول فى جيش الدفاع ، سرب طائرات ١٠١ .

كانت الخطة الأصلية هى إرسال طائرات المسرشميدتيم فى نفس اليوم من أجل تفجير طائرات القتال والنقل المصرية المستقرة فى مطار العريش ، لقد كان المطار الذى انطلقت منه الطائرات المصرية لتفجير تل أبيب ومستوطنات الجنوب على طول مسار تقدم الجيش المصرى .

وفقاً لتقدير المخابرات كان فى مطار العريش بضع عشرات من طائرات القتال ، القصف والنقل ، قائد سلاح الجو كان واثقاً أن المصريين لايفكرون فى احتمال أن يتم قصف المطار من الجو ، لكن كان للقيادة العامة نظام أولويات آخر .

على ضوء قرص الشمس الأحمر، الذى بدأ فى الغروب فى حافة بحر أسدود، رأى الطيارون الصف المصرى الرابض على الطريق، مطمئن وهادئ على طول عدة كيلومترات ، على حسب تقدير « لنرط »، عدة مئات من المركبات وآلاف الجنود الذين توقفوا من جنوب الجسر على الطريق الذى تم تفجيره قبل ذلك بيوم بواسطة خبراء تفجير « جفعاتى » ، أطلق جنود اللواء على هذا الجسر الاسم الرمزى «عد هالوم » (حتى هنا) .

مرت ثوانى قليلة سمعت فيها فقط أصوات المراوح ، تمنى « عيزر وايزمان » أن يكون المصريون على غرة من أجل عدم تشغيل الدفاع الجوى ، وحقاً بعد رؤية الطائرات الاسرائيلية ، ساد الهلع للحظة فى الصف المصرى ، لكن رابطة الجأش ظهرت أسرع من المتوقع ، أخذ الجنود مواقع على جانبى الطريق ، بدأت

السيارات المدرعة والدبابات فى الانتشار وبدأت المدافع المضادة للطائرات فى إطلاق النيران .

النيران المصرية كانت قوية جداً، بدا أن كل فوهات المدافع المضادة للطائرات والرشاشات الثقيلة أطلقت تجاه الأربع طائرات المسرشميدتيم ، أسودت السماء من سحب الدخان الكثيفة ، وبالنسبة إلى لنرط الغزير الخبرة، لم يتذكر نيران جهنم قوية بهذه الدرجة فى أية مرة من طلعاته القتالية فى الحرب العالمية، من الأرض تابع أبا كوفنر مع شمعون أفيدان أحداث الهجوم ، صرخ بفزع : إلهى القدير كم عدد المدافع التى لديهم .

الهجوم المفاجئ لطائرات المسرشميدتيم على قوة الغزو المصرية فى أشدود وتدمير جسر « عد هالوم » على طريق الساحل قبل ذلك زعزع من مقدار الثقة الذاتية للمصريين ، فى قيادة اللواء المصرى الثانى، فى أشدود ظهرت علامات خيبة الأمل على وجوه ضباط القيادة ، عندما أبلغ قائد الكتيبة السادسة « محمد نجيب»، و نائب قائد سلاح الغزو « الموجى » ، عن التعليمات الأخيرة التى تلقاها من القائد .

لقد وقف أمام رجاله منتصب القامة ومنضبط النفس ، لقد كان أسمر البشرة منذ الولادة ، لكن بدا أكثر سمرة بعدما تعرض للشمس ساعات كثيرة فى أيام الحرب الطويلة ، حالته المعنوية كانت منخفضة مثل حالة قادة القيادة العامة المصرية ،التقارير التى وصلت من الجبهات المختلفة فى إسرائيل كانت محزنة جداً، العراقيون، الأردنيون، والسوريون توقفوا قبل أن ينجحوا فى تحقيق أهدافهم، الجليل تبقى فى أيدى اليهود، حيفا، القدس، اللد والرملة بقوا أيضا فى أيديهم .

شعر المصريون بغضب شديد تجاه ملك الأردن «عبد الله » الذى لم يحرك ساكناً من أجل مساعدتهم فى الهجوم على رامات راحيل فى ناحية القدس، كان من

الواضح للمصريين أن عبد الله يخشى من احتمال سيطرتهم على المدينة، رفع العلم المصرى على مواقعها ، ويحبطو خطته من أجل الاحتلال، نجيب أبلغ عن ذلك لقادته .

بشعور من اقتراب الكارثة نصب اللواء جفعاتى أمام ٢٣٠٠ جندياً مصرياً المتحصنين فى أشدود حوالى ١١٠٠ من مقاتلى لواء الجنوب ، الذين كونوا كل القوة المتاح تجنيدها من أجل الهجوم .

الخطة : بطاريات مدافع وقذائف هاون ستقصف موقع الدفاع المصرى فى أشدود ، وبعد ذلك سيهجم عليه ٦٠٠ جندى من الجنوب، ٣٠٠ من الشمال، و٢٠٠ من الشرق، بضع عشرات من الجنود سيغلقوا الطريق من المجدل إلى أشدود من أجل منع وصول الدعم، وحدة الغلق من المقرر أن يتم تدبيرها من رجال كيبوتس نيتسيم .

بعد ذلك مر « نجيب » مع مجموعة من ضباطه بالمواقع التى تم حفرها فى شمال مدينة أشدود ومدح صمود الجنود ، لقد سمع أيضاً أشياء لم يتوقع سماعها، اشتكى الجنود من ذخائر كثيرة معيبة ، أبلغ مطلقو القذائف عن انكسار مقدمات مدافع الهاون بعد إطلاق عدة قذائف ، نجيب استدعى ضابط تسليح اللواء .

« هل علم أن جزء من المعدات التى أرسلوها لنا لم تكن مناسبة للاستخدام .

احمر وجه الضابط . «سمعت أنباء هنا وهناك ، لكن لم أفكر أنها جادة، قال « كل الأسلحة وصلت فى صناديق مختومة من المخازن المصرية » .

دور الفيلق الأردنى فى الحرب :

فى صباح يوم ٤ يونيو خرج الأثرى البروفيسور « اليعازر سوكنيك » من منزله فى القدس ، عندما كان يحمل معه صندوق خشبى يحتوى على ثلاث لفائف مخبأة اشتراها فى بيت لحم ، لقد كان شاحبا وممتلئاً بالمخاوف، قبل وقت ما سقطت

المدينة القديمة فى أيدى الفيلق ومحاولة اختراق الحصار على القدس فى لطرون تبددت أمام قوات أردنية متفوقة ، سكونيك خاف من ازدياد الهجوم على العاصمة، منزله الذى حفظ فيه الوثائق الغالية القيمة ، لم يعد مكاناً آمناً ، أصوات أنفجارات القذائف وصرير الطلقات رافقته عندما دخل إلى بنك أنجلو فلسطينى قومبانى فى وسط المدينة وأخفى اللفائف فى الخزانة التى كانت موجودة فى السرداب .

فى ظهيرة نفس اليوم ظهر سرب بحرى مصرى يقترب من سواحل تل أبيب ، فى مقدمته تحركت سفينة المدافع « الأميرة فوزية » ، وعلى جانبيها سفن أقل حجماً منها ، كانت النية نحو الرسو فى تل أبيب ، بافتراض أن هذا العمل سيحرك جيش الدفاع لوضع وحدات عسكرية من الجبهة فى أشدود والتخفيف بذلك من الضغط على المصريين ، سفينة سلاح البحر « إيلات » لاحظتهم عندما كانوا على مقربة من مصب وادى روفين ، السرب المصرى نزل تجاه السفينة الإسرائيلية وأصابها ، قائد إيلات « يوسف الموج » طلب مساعدة جوية فورية .

الطائرة التى حلقت فوق تل أبيب كانت على وشك إلقاء شحنة قنابلها الأولى على ميدان ديزنجوف فى شمال المدينة ، لكن فى ذلك الوقت لاحظ الطيار المصرى شيئاً غير متوقعاً : طائرة مسرشميدتيم إسرائيلية تقترب منه بسرعة .

دكوتا كانت ليست طائرة قتالية وكان واضحاً بالنسبة إلى قائدها المصرى أنه لايستطيع الدخول فى مواجهة مع الطيار الاسرائيلى فى قتال المدافع ، كان لديه خيار واحد هو الهروب فى داخل السحب التى فوقه والاختباء بها حتى يفقد أثره الطيار الاسرائيلى .

لكن قائد المسرشميدتيم خمن نواياه ، وفتح نيران مدافعه فى اللحظة التى بدأت فيها طائرة الدكاتوا فى الارتفاع بزاوية حادة .لم تكن أمام المصرى فرصة، ارتفع الدخان من طائرته وهبطت وهى تحترق إلى داخل البحر .

أثر سقوط مستوطنة نيتسانيم داخل المجتمع المصرى

الفرحة التى انتشرت فى مصر عندما وصلت الأنباء بسقوط نيتسانيم تم تزكيتها بدون توقف بواسطة الصحف والراديو، الأنباء عن الانتصار نشرت فى العناوين الرئيسية ، صحف متحمسة كتبت عن الانتصار العظيم لقواتنا ، واستشهدت بمصادر فى القيادة العامة التى أعلنت أن الجيش المصرى أثبت فعاليته والآن سيأتى دور المستوطنات الجنوبية الأخرى لإسرائيل .

الصورة الرسمية للملك بالملابس العسكرية فى شعبة عمليات القيادة العامة المصرية ، نشرت فى جميع الصحف فى ملحق تعليقات ، التى وفقاً لها يتم اطلاع فاروق صباح مساء حول مستوى تقدم جيشه فى فلسطين .

سافرت شخصيات فى القيادة المصرية برفقة حاشية كبيرة من ضباط الجيش والمصورين إلى نيتسانيم المحتلة ، هناك أعاد من أجلهم قائد قوات الغزو الموجى عملية القتال ، وقادته الكبار الذين لم يشتركوا فى القتال نفسه، أعادوا أمام الكاميرات، مجموعة الأوامر، عمليات إطلاق النيران بالمدافع والتقدم عبر العدو المتخيل بمدرعات سريعة ، أفلام الدعاية حول القتال فى نيتسانيم تم بثها فى دور السينما فى مصر .

على خلاف جو الانتصار الذى ألهب مشاعر المصريين فى أعقاب احتلال نيتسانيم، وصد الهجوم الإسرائيلى على أشدود، ساد فى الجانب الاسرائيلى مشاعر قاسية، جنود فى وحدات الجنوب هوجموا بالخوف واليأس ، هرب عدد قليل وحداتهم ، وأطباء الكتيبة اضطروا إلى إعطاء حبوب تهدئة لهؤلاء الذين أصيبوا بالاكتئاب .

فى غداة اليوم التالى لخضوع نيتسانيم أرسل أفيدان سرية فى الكتيبة ٥١ لاحتلال هضبة ٦٩ ، المطلة على نيتسانيم، من أجل وقف تقدم المصريين عبر بئر طوفيا .

الهضبة التى وقف عليها ثلاثة من أبراج المراقبة ، وهى جزء من موقع عسكرى بريطانى مهجور ، كانت صغيرة جدا بالكاد وجد بها مكان لجنود السرية ب التى هاجموها ، لمفاجأة الجميع ، اتضح أن المصريين لم يكونوا هناك نهائيا، طوال الليل انشغل جنود جفعاتى بحفر المواقع وبناء التحصينات ، يعتقدون أنهم دقوا وتدا فى هذه النقطة الهامة ونجحوا فى إعادة قليل من الثقة بالنفس إلى اللواء التى فقدها .

الاشارة إلى السلبيات فى الجيش الصهيونى

من مميزات الأديب رام أورين أنه لم يسر على طريق معظم الأدباء العبريين الذين يبالغون فى وصف قوة الجندى الاسرائيلى، وأنما أظهر الأديب بعض النواحى السلبية داخل الجيش الاسرائيلى ، مما يدل على أنه يتبع أسلوب الحيادية إلى حد ما ، ولايركز فقط على النواحى الإيجابية فى الجيش اليهودى مثلما فعل كثيرٌ من الأدباء العبريين فى الأدب العبرى.

قائد الكتيبة التى استقرت فى هضبة ٦٩ ، شعربأن السلطة تنتقل بسرعة إلى أيدى المصريين ، أصيب بالصدمة ، فقد صوابه ، ترك موقعه وهرب من المكان وبعد رؤية القائد يهرب بدأ جنوده أيضا فى الهرب ، طاردهم المصريون وهم يطلقون النار ويسقطون ضحايا الواحد تلو الآخر ، طاردت دبابة مصرية أربعة جنود حملوا قائد سرية مصاب اصابة خطيرة ، طلقات مدفع الدبابة قتلت اثنان واضطر الاثنان الآخرون اثناء هروبهم ان يبقوا القائد فى الميدان .

حياة الأسر كانت استمراراً للذل والإهانة ، أخذ المرضى بواسطة الممرض إلى طبيب فى وسط المدينة، عندما نزلوا من السيارة العسكرية أجبرهم الممرض على الرقص أمام الجماهير التى بصقت عليهم باحتقار ، الأسير« شالوم زامير » التى كانت زوجته « تسيلا »محبوسة فى سجن بالمدينة ، نجح بواسطة بطاقات تم تهريبها اليها ومنها فى تنسيق زيارة مشتركة معها عند الطبيب ، هما التقيا فى غرفة الانتظار ، تعانقا بحرارة حتى فرق بينهم الممرض .

الإشارة إلى وجود حرب نفسية ضد اليهود

ذات مرة وقع فى أيدى الأسرى نسخة من جريدة الأهرام المصرية ، فوجئ أريه بن مناحم فى كشف صورة فى الصفحة الأولى صورة لرجال مسنين مقوسى الظهر واقفين فى طابور بجوار المخبز فى تل أبيب ، ذكر « بن مناحم » أنه نفسه صور هذه الصورة – فى جيتو فيلنا الذى كان محاصراً بواسطة النازيين ، جزء من الصور الكثيرة ، التى صورها فى الخفاء فى الجيتو ، جلبها معه عندما وصل إلى إسرائيل .

بعد ذلك بأيام قليلة دخل « محمد نجيب » إلى مكتب « المواوى » فى غزة ، كانت بادية على وجهه علامات التذمر، لم يكن راضياً عن خطط المواوى للقيام بهجوم آخر فى النقب ، وكعادته لم يخف عن قائده هذا الرأى ، قدر نجيب أنه فى أعقاب الهزيمتين فى النقب يجب مهاجمة الكيبوتس بقوات كبيرة عدة أضعاف ، حذر نجيب المواوى « هجومك سيفشل » ، ياللأسف على جنودنا الذين سيموتون هباءاً ،دخن المواوى سيجارته حتى النهاية، بعد ذلك قال بلامبالاة : أنت هنا تخفض من حالتنا المعنوية ، لذلك سأبعدك من القيادة على هذا الهجوم .

لكن « المواوى » وجد أن « نجيب » كان محقاً، لقد قوبل الهجوم الجديد على النقب بمقاومة قوية من جانب المدافعين ، الذين حاربوا بإستماتة للدفاع عن (وطنهم) ، وبعد قتال استمر أربع ساعات ، بدأ الانسحاب المصرى الخائف ، استدعى « المواوى » نجيب وآمره بالانسحاب .

فى جلسة القيادة العامة التى تمت بعد ذلك اشتكى نجيب من العدد الكبير للخسائر فى الهجوم الفاشل ، قاطع « المواوى » كلامه بغضب .

أنت تتعمد المبالغة ، أنت تخلق الفوصى هنا .

اخجل من نفسك ، أصيب ضباط القيادة بالصمت ، وساد فى الغرفة سكون

الموت .

وقف نجيب وقال للمواوى: أعتذر ، أنا غير مستعد لإكمال واجباتى اليومية بعدما قلته .

المواوى الذى أوصى بعد القتال فى مستوطنة نيتسانيم بترقية نجيب فى الرتبة ومنحه وسام البطولة « نجمة الملك » رفض الاعتذار .

غادر « نجيب » الغرفة ، دخل إلى غرفته وأرسل إلى قائد القوات المصرية طلباً رسمياً للاعتذار . المواوى خرج عن شعوره ، وأصدر تعليمات إلى نجيب للمثول فى القيادة العامة بالقاهرة ، وأرسل برقية إلى هناك طالب فيها محاكمته بتهمة عدم الطاعة ، جمع نجيب حاجياته وسافر إلى القاهرة ، ولم يتم محاكمته ، لكنه أيضا لم يعد إلى ميدان القتال ، وعلى الرغم من هذا عُين كمرشد فى مدرسة الضباط .

على الرغم من الثغرات الأولية التى ظهرت فى الجيش المصرى الذى غزا إسرائيل ، لم يسرع فى رفع يديه والهروب من ميدان القتال ، كانت له إخفاقات ، لكن كانت له أيضا انتصارات ، وقد دعمت الحالة المعنوية وبعثت الأمل فى أن الانتصار مازال ممكنا ، الحالة المعنوية فى داخل جنود « جفعاتى » كانت على العكس من ذلك ، فى مستوى متدهور ، الهجوم الفاشل على أشدود ، المحاولة الفاشلة لاحتلال نيتسانيم من جديد والانسحاب من هضبة ٦٩ كانت كافية لتعكير الجو فى اللواء .

فى نفس الليلة ١٦ اكتوبر ، خرج جنود السرية ب سوياً مع الكتيبة كلها لمهاجمة « الثكنات العسكرية فى تسومت ، الهجوم على النقاط العسكرية قوبل كالمتوقع بمعارضة قوية ، الجنود المصريون أمطروا النيران من داخل مواقع مجهزة جيداً . كانت لديهم خبرة فى المعارك الدفاعية ، استعانوا بالمدافع والطائرات القتالية وكانوا مصممين على صد الهجمات الإسرائيلية .

مقتل الكونت برنادوت

جلبت الليالى معها إلى النقب رياح الخريف المقترب ، وخصص الجنود فى كلتا الجبهتين ساعات النهار فى تحصين مواقعهم ، كانت هناك فرصة معقولة إنه إذا اضطر مجلس الأمن كلا الطرفين فى وضع سلاحه ، سيبقى الوضع فى المنطقة كخريطة سياسية جديدة . معزى الأمر أن النقب بمستوطناته اليهودية سيبقى فى أيدى المصريين بشكل عملى .

مقتل برنادوت لم يضع نهاية لخطة التوزيع الجديد للأرض ومنح النقب للمصريين « رالف بنتس » مبعوث الأمم المتحدة الذى عين بدلا من « برنادوت » تعهد بالسير فى أعقاب سابقه ، ويقوم بتنفيذ الخطة فى إسرائيل كان قادة السلطة مصممين على المعارضة الشديدة للتوزيع الجديد ، وبينما تصرفت مصر كأنما خطة برنادوت تم التأشير عليها والتوقيع عليها وأن النقب كله يتبعها .

المخاوف من أن يتم فصل النقب بشكل نهائى عن دولة إسرائيل أنتج قلقاً عميقاً فى القيادة العامة ، « يجآل آلون » عُين فى منصب قائد الجبهة الجنوبية ، للأسف العميق من جانب «شمعون أفيدان » القائد الكبير فى الميدان الذى اعتقد أن هذا المنصب مخصص له .

« آلون » كان على عكس « أفيدان » : رجل ودود، يربت على الكتف ، كثير الابتسام . اعتقدت القيادة العامة أنه مناسب للمهام الجريئة ، للمخاطر ، التى لم يكن يأخذها أفيدان الخائف على رجاله .

الهدنة التى تحددت بواسطة الأمم المتحدة عرقلت إعطاء الأمر بالخروج إلى الهجوم ، وبحث« يجآل آلون » عن سبب مناسب لانتهاك الهدنة ، لهذا الهدف تم تنظيم قافلة كان من المقرر أن تنقل الإمداد إلى النقب المحاصر ، لكن فى حقيقة الأمر كانت تهدف إلى استفزاز المصريين لإطلاق النار .

فى القيادة التى خرجت تحت قيادة شلومو (تسيتس) ليندنر احتوت أيضاً على شاحنات مشحونة وقود ، كما هو متوقع فتح المصريون النار ، ألسنة اللهب التى اشتعلت فى شاحنات الوقود ظهرت من بعيد ، ولم يكن هناك شك فى أن المصريين هم الذين انتهكوا الهدنة .

يشوه المؤلف فى هذه الفقرة صورة الجندى المصرى ، حيث يرسم لنا صورة إنسان جبان لاهم له ، سوى الحفاظ على حياته والعودة الى منزله وأهله .

رسم صورة سيئة للجندى المصرى وانه إنسان جبان أثناء الحرب

قائد الفصيلة ، تسيفى (هارى) كرفيتسكى، رجل المارينز السابق الذى تطوع فى جيش الدفاع ، أرسل للسيطرة على النقطة العسكرية الشمالية ، لكن النقطة الشمالية كانت قريبة جداً وتم إطلاق النار من هناك خفيفة نسبياً ، وفقا لرأيه الشخصى ، قرر الهجوم عليها أولاً ، فى نهاية دقائق قليلة وجد المهاجمون أنفسهم يحاربون فى داخل قنوات الاتصال .

أحد الجنود ، خياطاً من تل أبيب ، يرتدى نظارة وضعيف الجسم ، احتل بنفسه موقع مصرى محصناً ، وبدأ المصريون فى الهرب ، خلفوا وراءهم أسلحة وذخائر ليست بقليلة ولكن أيضاً شاحنتين محملتين بملابس شتاء جديدة ، جنود السرية (ب) ألقوا بملابسهم القديمة وارتدوا ملابس المصريين .

فى الجهة المقابلة يقوم المؤلف برسم صورة بطولية للجنود اليهود ، وأنهم شجعان ويقاتلون بإستماتة واستبسال .

استمر القتال ساعات طويلة وعدد الخسائر كان كبيراً فى كلا الطرفين ، أيضاً فى اللحظات الصعبة ، أيضاً فى الوقت الذى سقط فيه الجنود الواحد تلو الآخر ، استمر زملاؤهم فى القتال باستماتة، سرية يوش جولدبرج (هرفز)، التى كانت تحتوى على مهاجرين جدد ومتطوعين كثر من خارج البلاد ، هاجمت إحدى

النقاط العسكرية فى تسومت من خلال أوامر باليديش .هذه كانت التجربة القتالية الأولى لكثير من جنود يوش وهم اجتازوا الاختبار ببطولة ، على النقاط العسكرية تناثرت فى حالة من الفوضى جثث الجنود الإسرائيليين والمصريين .

الهزيمة التى منى بها الجيش المصرى فى « النقاط العسكرية بتسومت » أثارت مخاوف قادته بأن الخطط لفصل النقب ستنهار مثل بنيان من الورق إذا لم يسرعوا فى التعهد بأن النصر سيكون حليفهم فى المعارك الحاسمة القادمة ، حوالى ٣ كيلومترات جنوب تسومت ، حول قرية حوليقات ، امتدت على مدى منطقة واسعة ستة مواقع مصرية ، كان من السهل على المصريين التخمين أن هذا الهدف الإسرائيلى القادم ، وكانوا مصممين فى صد المهاجمين هذه المرة وتوجيه لهم خسائر لايعرفون حجمها ، كل المواقع سيتم دعمها فوراً بقوات إضافية ، خنادق مصبوبة بالخراسنة أخفيت فى التراب ، قنوات اتصال عمقت حتى ارتفاع قامة الانسان ، تم تشكيل مواقع إطلاق نار لتأمين الأسلاك الشائكة ، وتم زرع الكثير من الألغام بين الأسلاك الشائكة ، والعديد من الألغام للمشاة وألغام مضادة للمركبات ، مر القادة بين جنودهم ووعدوهم بالنصر .

كانت المشكلة تكمن فى عدم وجود أية فكرة لدى الجيش الاسرائيلى حول الاستعداد المصرى وخططه فى الحليقات ، أفضل جنود الاستطلاع فى جفعاتى تحت قيادة قائد السرية « أفيف برزيلى » ، تم إرسالهم لجمع تفاصيل حول مواقع العدو ، كتيبتين من جفعاتى ، بطاريات مدفعية ودبابتين من طراز « كروميل » التى سرقت بواسطة هاربين من الخدمة البريطانية ، خصصت من أجل تنفيذ الهجوم فى يوم ١٨ أكتوبر .

فى أكتوبر ١٩٤٨ ، عندما بدأت أمطار الشتاء الأولى فى غسل بقع دم المحاربين اليهود والعرب من فوق أراضى الجنوب ، كان من الواضح أن المصريين يقومون بحرب إبادة لافائدة منها .

تحسن الوضع الصهيونى فى الحرب :

وكلما مرت الأيام، انقلبت الأمور ، بعدما وجد مبعوثو الشراء فى الولايات المتحدة صعوبة فى الاستمرار فى العمل بسبب الحظر، انتقل مركز العمل فى أوروبا، رجل الشراء « يهودا أرزى » أرسل إلى هناك ونجح فى عمل مالم يستطع عمله فى الولايات المتحدة ، السلاح والمعدات تم شرائها فى بلجيكا ، فى فرنسا، فى سويسرا وفى إيطاليا ، التى رجحت اعتباراتهم التجارية والسياسية كفة الميزان، شحنات السلاح والطائرات التى وصلت إلى البلاد الواحدة تلو الآخرى، تم ضخها إلى جيش الدفاع وزادت من قوته ، الجيوش السورية ، الأردنية والعراقية ، التى حاربت بدون تنسيق فيما بينهم ، أحاقت بهم الهزيمة واضطروا إلى التنازل عن احتلال صفد وحيفا، نتانيا والقدس، طائرات سلاح الجو قصفت عمان ودمشق وألقت قنابل بجوار قصر فاروق فى القاهرة .

بدأ المواطنون الخائفون فى الهرب إلى خارج المدن العربية خوفاً من استمرار قصف القنابل من الجو ، أرسل الجيش الاسرائيلى إلى الجبهة الجنوبية قوات تدعيم من جميع أجزاء البلاد ، من أجل طرد الجيش المصرى فيما وراء الحدود الدولية .

تم إعداد هجمات « جفعاتى » فى نفس الوقت على ثكنات « تسومت » العسكرية الأساسية ، السرية ب ، هاجمت على إحدى المواقع منهم بقوة نيران أصغر من المخطط ، مدفعان تشيكى الصنع من طراز « بزه » ، اللذان كانا مقررين أن يتم تسليمهما إلى السرية عشية القتال ، لم تصل ، لكن بعد ساعات قليلة من بدء القتال اخذ الجنود فى الأسر مدفعجى مصرى ، المصرى ارتعد من الخوف وطلب بصوت باكى ان يتعهدوا له بالعودة إلى المنزل بسلام وإلى زوجته وأولاده ، جنود السرية ب طلبوا فى المقابل أن يعلمهم طريقة تشغيل مدفع « الفيكرس » وهو استجاب فورا .

فى الوقت الذى قامت فيه قوات من سلاح المشاة والمدرعات بغرس أسافين فى قلب القوة المصرية بهدف إضعاف قواتها، قصفت طائرات إسرائلية فى ١٥ من أكتوبر التجمعات المصرية وفى نفس اليوم ، مع غسق الشمس ، فاجأوا سلاح الجو المصرى عندما هاجموا المطار المزدحم فى العريش ، حيرة وخوف سادت فى المطار،نقلت سيارات الاسعاف المصابين ، أوامر متعارضة حملت فى الجو عمود دخان، وعندما وصل الهجوم الاسرائيلى إلى نهايته ، تبقى على الطرق أعداداً كبيرة من الطائرات الحربية والنقل المصرية محطمة إلى شظايا .

أيضا سلاح الجو اشترك فى المعركة ، فى ليلة مظلمة ، فى الوقت الذى انتشرت فيه أمواج البحر بضجة وغضب إلى رصيف ميناء حيفا، اقتربت شاحنة عسكرية من الرصيف ، الذى كان مربوطاً فيه عدد من قوارب سلاح البحرية وسفينة إنزال واحدة قديمة ، نزل من الشاحنة ٢٥ جندياً، هم كانوا على وشك الصعود على السفينة لكن سلاح البحرية لسبب ما لم يسمح لهم بالإبحار، مرت ساعاتان غاليتان حتى تم إحضار طاقم بسرعة ، الذى كانت هذه هى المرة الأولى له ليقود سفينة .

فى قيادة القوات المصرية فى غزة تعمق الشعور بالإحباط ، الجنود المصريون تهامسوا فى مجموعات وتحدثوا فى خوف عن تقدم الجيش الاسرائيلى ، وعن الاحتلال السريع لبئر سبع ، لم يتحدث أحد ثانية عن احتلال تل - أبيب بواسطة الجيش المصرى وعن فصل النقب ، هم رغبوا فى العودة إلى الوطن بسلام .

تم إقالة قائد القوة المصرية « أحمد على المواوى » ، وتم تعيين « أحمد فؤاد صادق » ، جمع ضباط قيادته فى جلسة عاجلة فى مكتبه ، وخيم جو من الحزن هناك ، بدا صادق متعباً ، ولم ينم منذ يومين ، ولم يحلق وتقريباً لم يأكل ، الكتائب المسئول عنها تكبدت خسائر فى ميدان القتال .

فى صباح غائم وبارد فى نهاية أكتوبر ظهرت مئات الشاحنات ، المدافع ،

الدبابات ، المدرعات تغادر المواقع المصرية وتتحرك بسرعة ناحية الجنوب ، فى مواقع المراقبة لجفعاتى تابعت طوال اليوم القوافل المصرية ، فى غداة اليوم التالى تم إرسال سيارات الجيب الخاصة « بثعالب شمشون » لفحص المناطق التى تم مغادرتها ، هم وجدوا فى المواقع الخالية وفرة من حقائب القنابل وطلقات البنادق والرشاشات .

من أجل منع المصريين من السيطرة على مواقع جديدة وبهدف طردهم تماماً فى طريق العودة إلى بلادهم ، قام جيش الدفاع الاسرائيلى فى ٢٢ من ديسمبر بالهجوم الأكبر من كل الهجمات السابقة ، تحت قيادة « يجآل آلون » ، تم القيام بعملية «حوريف » التى اشتركت فيها قوات كبيرة بشكل خاص .

نفذت طائرات سلاح الجو بمالا يقل عن ٢٤٣ طلعة جوية، وألقت على التجمعات المصرية مئات الأطنان من القنابل ، سفن سلاح البحرية قصفت قوات العدو فى مناطق الساحل ، وحدات المشاة والمدرعات عبرت الحدود المصرية ، احتلت قواعد عسكرية أساسية فى سيناء ، وتسببت فى إصدار إنذار بريطانى طالب بالانسحاب الفورى من المناطق المصرية ، عملية حوريف ستستمر حتى بداية يناير ١٩٤٩ ، وحينئذ سيطلب المصريون إجراء مفاوضات من أجل الهدنة .

فى قنوات الاتصال وفى المواقع المحصنة لـ« جيب الفالوجا » وضع الجنود سلاحهم وقرأوا المنشورات ، روحهم المعنوية كانت منخفضة ، انتصار الإسرائيليين فى عملية « يؤاب » ، تسبب فى انسحاب اللواء التاسع المصرى ، الذى وجد نفسه محاصراً من جميع النواحى فى جيب كبير فى منطقة الفالوجا – عراق المنشيا . ٥٠٠٠ جندى و٢٠٠٠ محارب محلى تخندقوا فى الجيب وفقدوا سريعاً أى أمل فى النجاة من هناك .

أخذ ناصر المنشور وأحضره إلى قائد القوات المحاصرة ، الأمير الى (العميد) سيد طه بك ، وجد هذا الرجل أسمر البشرة ، ابن لأم سودانية ، يزرع أشجار بصل

فى حوض بجوار خيمة قيادته ، طه بك (النمر الأسود) ضابط محارب قديم ، ضخم الجثة ، ومستدير الوجه ، تم ترقيته بعد الانتصار فى يد موردخاى، يشجع جنوده على زرع الخضروات للأكل ، احتياطى الطعام نفذ سريعاً ، وتم تخفيض الوجبات الثلاث إلى اثنتين يومياً ، هو لايعرف كم من الوقت سيستطيعون الصمود داخل دائرة الحصار .

الهجوم الإسرائيلى بدأ كما هو متوقع بقصف مدفعى مستمر ، الإصابات كانت دقيقة وتسببت فى دمار كبير ، فتحت فى الحوائط ثقوباً كبيرة ، وسحب من الدخان غطت جنود بدر ، هم كانوا فى حالة عجز .

« ليس لدينا أكياس رملية من أجل إغلاق الفتحات ، صرخ الجنود تجاه قائدهم .

خذوا جثث القتلى وأغلقوا هذه الفتحات ، رد عليهم .

تم تجميع الجثث بجوار الفتحات فى الحائط ، لكن قنابل المدافع تسببت الواحدة تلو الآخرى فى إحداث المزيد من الفتحات الكبيرة .

على ثكنة عسكرية مصرية محصنة ، ليس بعيداً من الشرطة . أمر عبد الناصر جنوده بإطلاق النار على الإسرائيليين ، عسكرى المدفع الخبير به تلقى ضربة فى رأسه وقتل ، ناصر رأى شخص ما يمسك المدفع ويستمر فى إطلاق النار فقط بعد دقائق قليلة عرف هوية هذا الشخص ، لقد كان 'الرقيب « عزيز رشيد » وكان أعمى .

رشيد أصيب فى إحدى العمليات السابقة ، فقد نور عينيه ، لكن طلب من الأطباء اعادته إلى كتيبته ، ناصر وافق على عودته ، لأن عودة الجندى الأعمى سيشجع زملائه ، الآن رأه يشغل المدفع بدون أن يعلم إلى أين يوجهه ، أخرج من يده المدفع وأمره بالإختباء فى إحدى قنوات الاتصال حتى ينتهى الهجوم .

فى شرطة العراق سويدان ، المجاورة لكيبوتس نجفا ، نظر القائد ، البكباشى

(المقدم) صلاح بدر ، ليرى مايحدث فى الخارج ، من خلال نافذة إطلاق النار المحمية بأكياس الرمل ، رأى قوات إسرائيلية تنتشر ليس بعيداً من الشرطة ، لاحظ أيضاً مدافع يتم جرها إلى مواقعها ، ودبابتين بدأت تتحرك نحوهم .

لقد كانت هى الدبابات التى سرقت من مخازن الجيش البريطانى بواسطة الضابطين اللذين تطوعا للخدمة فى جيش الدفاع الإسرائيلى ، بدا فعلاً فى الواقع أن هناك هجوماً وشيكاً .

سيطر المصريون على الشرطة بعدما سلمها البريطانيون إلى أيديهم مع خروجهم من البلاد ، جنود الجيش المصرى ، الذين تخندقوا جيداً فى المعاقل الأسمنتية ، منعوا هذه الهجمات سبع مرات متتالية ، لكن بدر لم يكن واثقاً أنهم سيستطيعون الدفاع عليها مرة أخرى ، فى الفناء كانت ملقاة هناك جثث القتلى الذين لم يستطيعوا إخلائها ، المصابون صرخوا من الألم فى إحدى غرف الشرطة والمسعفين لم تبقى لديهم معدات طبية ، الذخائر نفدت تقريباً ، والذخائر الجديدة تأخرت فى المجيء .

بعد التمهيد الذى قامت به المدفعية، هجم جنود قوات المشاة للواء الثامن تحت غطاء المدرعات والدبابات على الشرطة ، أجرى بدر اتصالاً مع قيادة الجيش فى غزة ، أرسلوا إلينا تعزيزات ، توسل ، لقد طالب أيضاً بمساعدة جوية من أجل منع سقوط الشرطة ، « لاتقلق ، الطائرات فى الطريق »، أبلغه ، لكن لم تصل أية طائرة .

الجنود المصريون دافعوا عن الشرطة باستماتة ، لكن اضطروا إلى الخضوع بعدما قام خبراء مفرقعات الكتيبة ٨٩ ، بمساعدة قاذفات ألقت على الشرطة قنابل غاز مسيل للدموع ، نجحوا فى شق ثقب فى الحائط الغربى للمبنى ، شق جنود الكتيبة إلى الداخل، المصريون رفعوا الراية البيضاء وخرجوا من الشرطة بأيد مرفوعة .

كتب بعد ذلك فى جريدة « دافار » : « خضع عراق سويدان » ، الجنود المصريون انفجروا بالبكاء . الحقيقة كانت أن أعينهم ملئت بالدموع من الغاز ،

الذى فتح بواسطة « يائير كليفنسكى » : شقيق الطيار الراحل « مودى ألون » .

صلاح بدر وجهه أسود منتفخ ، ملابسه ممزقة ورأسه منحنى ، أتى به بواسطة جنديين إسرائيليين إلى قائد العملية « يتسحاق ساديه » . قال له ساديه « سيدى أنا أهنئك على الحرب البطولية لرجالك »

جو مظلم ساد فى جيب الفالوجة مع سقوط الشرطة ، حتى الخضوع ساد بين الجنود المصريين لسبب ما شعور بأن الحصار سيصمد ، عراق سويدان كانت رمزاً، نموذج الحرب ، ومضة الأمل لإحتمال آن يتنازل الإسرائيليون فى نهاية الأمر عن احتلال موقع الشرطة ، سيرفعون الحصار ويسمحون للجنود بالإنسحاب بدون خسائر .

قيادة الجيش المصرى فى رفح ، التى تعبت من البرقيات اليائسة ومن الردود التشجيعية التى أرسلتها بدون توقف ، فهمت فى النهاية أن الآف الجنود المحاصرين لطه بك فى الجيب لاتوجد لهم فرصة فى البقاء لفترة طويلة ، اقترحوا على القائد اختراق الحصار الإسرائيلى والوصول إلى غزة .

« هذا سيكون انتحار » أجاب طه بك بغضب ، الشاحنات التى لم تصب بواسطة سلاح الجو الإسرائيلى ليس لديها وقود ، عربات المدافع معطلة ، الذخائر غير كافية للدفاع ، طلب أن يأتى الجيش المصرى لمساعدته وإنقاذ رجاله .

صمد جيب الفالوجا حتى تم توقيع اتفاق الهدنة بين إسرائيل ومصر فى نهاية فبراير ١٩٤٩ ، أثناء المباحثات بين الوفود المصرية والإسرائيلية فى رودوس ، تم الاتفاق على السماح بالإخلاء التدريجى للواء المصرى من الفالوجا بشرط أن يتم التوصل إلى اتفاق الهدنة حتى ٢٣ يناير ، وعندما حان الوقت وكان الاتفاق بعيداً ، رفضت إسرائيل السماح بإنقاذ المحاصرين ، لكن وافقت على إرسال الطعام والدواء لهم ، تم التوقيع على اتفاق الهدنة فى نهاية ٢٤ فبراير .

عاد طه بك إلى مصر واستقبل بالهتافات عندما مر مع جنوده بميادين القاهرة ،

لكن بعد ذلك بوقت قصير تم إبعاده بواسطة قيادة الجيش ، وأرسل ليقود وحدة صغيرة فى مكان ما بعيداً عن القاهرة ، اتهمه قادته بأنه خضع أمام الإسرائيليين وأضر بذلك بهيبة الجيش المصرى .

قام قائد جبهة الجنوب «يجآل آلون » بعمل تقدير سريع للموقف ، وكان من الواضح أمامه أنه ينبغى الطرق على الحديد وهو ساخن ، وإجراء مفاوضات مع المصريين بشأن الخضوع ، الخضوع كان ضرورياً لأنه فى أعقابه سيكون من الممكن إطلاق سراح جزء كبير من الجنود الذين حاصروا منطقة « الجيب » وتوجيههم إلى مناطق قتال أخرى ، وبحث عن متطوع يقوم بنقل اقتراح إجراء المفاوضات إلى طه بك ، الثالث له ، يروحام كوهين ، مثل أمامه .

قال « لدى متطوع » .

من ؟

« أنا بنفسى » .

« يروحام كوهين » النحيف ، ينتمى لأسرة يمنية كبيرة ، وكان يطلق عليه من قبل الجميع « يروحام الأحمر ، كان ذا خبرة عسكرية ثرية فى الهاجاناه ، والأكثر أهمية – أنه يتحدث العربية الدارجة ، يجآل أمر بإحضار مدرعة تحت حوزته عليها مكبرات صوت وعلم أبيض كبير .

لكن ولا طلقة أنتهكت الصمت على طول خطوط الجبهة ، فجأة ظهرت ثلاث هيئات من خلف الأسوار الشائكة المصرية ، ولوحت له من أجل الإقتراب منهم .

عندما فعل ذلك ، لاحظ أن الثلاثة ينتمون إلى طبقة الضباط ، حياهم بأداء التحية العسكرية ، أزالوا الجدار الشائك ، اقتربوا منه ، صافحوه وقدموا أنفسهم أمامه ، كان أكبر ضابط هو جمال عبد الناصر ، كان مهتما بمصير قائد شرطة عراق سويدان و يروحام كوهين قال : أنه رأه فى السبى ، وبدا له أنه فى حالة جيدة .

كرر كوهين ، قائدى يريد مقابلة طاهر بك .

سأل عبد الناصر بشك ، هل يريد أن نستسلم ؟

« هو يريد التوصل إلى طريق لوقف القتال .

ناصر طلب من أحد الضباط أن يذهب إلى طاهر بك ومعرفة رده .

فى هذه الأثناء حكى ليروحام كوهين عن مشاركته فى معارك يد موردخاى ونيتسانيم وعن إصابته فى القتال بجوار كيبوتس نجفا ، الذى هاجمت فيه وحدة سيارات الجيب لثعالب شمشون .

سأل يروحام كوهين لماذا جئتم إلى هنا بشكل عام ؟، لماذا دخلتم فى حرب بعيدة عن أراضيكم ، بدون أن يكون لكم سبب حقيقى لمحاربتنا ؟

أجاب ناصر ، لقد تورطنا بدون داعى ، لكن نحن الآن نحارب من أجل شرف الجيش المصرى ، لن نستطيع أن نعود إلى الوطن كجيش مهزوم .

أجرى طه بك اتصالا بقيادة الجيش فى رفح وحكى لهم عن الاقتراح الإسرائيلى ، قال لهم بتأثر مصابونا يموتون بسبب عدم المعالجة ، أعطونى رداً فورياً .

الضابط الذى أرسله ناصر إلى طه بك عاد وقال :إن قائد منطقة « الجيب » ليس لديه مانع من اللقاء ، لكن عليه أن ينتظر تصديق قادته ، ناصر ويروحام كوهين حددوا اللقاء فى نفس المكان صباح الغد .

فى برقية الرد اجاب قادة طه بك « نحن نضع حرية الإختيار فى يدك » .

أسرع « يروحام » إلى الكيبوتس وفاجأ زملاءه بإبلاغهم أن هناك ضيوفاً مصريين سيصلوا بعد الظهر ، المشكلة كانت أن أغلب المنازل فى المزرعة تهدمت بسبب القنابل المصرية و ولم تكن مناسبة لعقد لقاء بين المشاركين فى اللقاء . فى النهاية اتضح أنه فى أحد المبانى بقيت غرفتين سليمتين وتقدم أعضاء

الكيبوتس بحماس لتنظيفها و وإخلاء الأجزاء المهدمة خارجها .

أسرع الطباخون بخبز الفطائر وأحضروا من البستان جوال من البرتقال الطازج الذى قطف للتو ، من اجل أن يثبتوا للمصريين أن الحياة فى الكيبوتس تسير على مايرام ، على الرغم من الحرب ، أمر كل الزملاء بالانتشار فى الحديقة الخضراء وفى بساتين الفاكهة ، والخروج إلى الغابة بالجرارات وإظهار نشاط روتينى .

طاقم القيادة للمصريين المحاصرين وصل فى الوقت المحدد بقافلة من سيارات الجيب ، حاملين أعلاماً بيضاء ، طه بك صافح يجآل آلون ، ونائبه يتسحاق رابين .

بعد ذلك دخل الوفود المرافقة إلى الغرفة ، وجلسوا من كلا الجانبين على المائدة الطويلة .

يجآل آلون استهل الحديث بتوجيه التقدير تجاه حرب المصريين فى شرطة عراق سويدان .

« شكراً كثيرا » سيدى ، رد طه بك ، « أيضاً جنودك حاربوا ببطولة ، على الاعتراف انه فى أكثر من مرة وضعونا فى مواقف صعبة جداً .

البارات المظلمة لفنادق « جت ريمون » ، و « بارك » التى تقع على شاطئ بحر تل أبيب ، كانت الأماكن المفضلة لقضاء وقت طيارى سلاح الجو ، وعلى الأخص المتطوعين من خارج البلاد ، صب الويسكى هناك كالمياه ، وفى أكثر من مرة أضطروا إلى جر طيار من البار بسبب شربه حتى فقدان الوعى ، قبل ان تصل هناك الشرطة العسكرية ، أحبوا الشراب ، والتفاخر بالنساء اللاتى اغتصبوهن ، والتحدث عن المعارك الجوية التى خاضوها .

فى نهاية ١٩٤٨ حزمت مجموعة من المتطوعين من خارج البلاد حقائبها ، وعادوا إلى بلادهم ، آخرون كانوا على وشك القيام بذلك قريباً ، كثيرون من

المغادرين تركوا البلاد بحزن .

انتهت المعارك الجوية فى أغلبها بانتصار الطيارين اليهود، فقط فى أوقات قليلة كان طياروا الجيوش العربية خصماً من الصعب مواجهته، التجربة و الخبرة حسمت بشكل عام مصير القتال حتى قبل أن يبدأ ، فى خبايا قلوبهم تمنى طياروا سلاح الجو أن يأتى اليوم ويستطيعون مواجهة قوات مكافئة أو أفضل ، وهذا حدث أسرع مما توقعوا .

فى صباح يوم ٧ يناير ١٩٤٩، حلقت طائرتا « سفيتفريم » إسرائيليتان، تم شراءهما فى وقت سابق لذلك ، من مطار فى منطقة حاتسور تجاه منطقة أبو عجيلة فى سيناء ، الطائرات القتالية لسلاح الجو اعتادوا على الطيران فى أزواج فقط ، طائرات العدو حلقت بشكل عام فى مجموعات من أربع أو ستة طائرات ، كل تشكيل أكبر من طائرتين ينبغى أن يكون تابع للعدو ، فوق منطقة أبو عجيلة قابلت الطائرات الاسرائيلية فى الساعة ٩.٣٠ مجموعة مكونة من ٦ طائرات سفيتفريم ، اندلع قتال قصير ، تم إسقاط اثنتين من الستة طائرات وفر الباقون ، الطيارون الذين عادوا إلى حاتسور كانوا مندهشين . قالوا : يبدو لنا أننا أسقطنا طائرات بريطانية .

حلقت طائرتا « سفيتفريم » إسرائيليتان آخريان بعد وقت قصير فى الجنوب للقيام بجولة فوق المنطقة المصرية ، فجأة ظهرت فى السماء ستة طائرات سفيتفريم بريطانية، مرة ثانية اندلع قتال جوى ، تم إسقاط طائرة واحدة وفر الباقون .

الاتصالات بين المصريين واليهود أثناء الحرب

وجهت قيادة الجيش المصرى تعليمات لطه بك بالاستمرار فى التحصن فى «جيب الفالوجا» لكن الاتصالات بين يروحام كوهين وعبد الناصر استمرت ، وفقاً لطلب كوهين ، سمح ناصر للحاخام شلومو جورين ، الحاخام العسكرى الكبير ، بإجراء الصلاة بجوار الأماكن التى دفن فيها المصريون جنود السرية الدينية للواء «الكسندرونى» الذين سقطوا فى الهجوم على موقع عراق المنشية ، فى كل لقاء أحضر

كوهين هدية لناصر – كيس برتقال او علب شيكولاته فاخرة ، عندما ولد الأبن الثالث لناصر ، أرسل له يروحام كوهين بدلة طفل وتلقى خطاب شكر مؤثر .

بعد ذلك بتسع عشرة عاما ، فى عام ١٩٦٧ ، أعاد التاريخ نفسه : مصر تجد نفسها ثانية فى حرب مع إسرائيل ، ومن يحارب أمامها ليس شخص آخر سوى صديق يروحام كوهين ، من جيب الفالوجا ، « عبد الناصر » رئيس مصر .

مقتل رئيس الحكومة المصرية النقراشى باشا على أيدى الأخوان

بعد ذلك بوقت قصير على رأس قائمة الأخبار ، أعلن المذيع فى راديو القاهرة عن مقتل رئيس الحكومة النقراشى باشا على أيدى مغتال ، النقراشى باشا ترأس حملة اضطهاد بهدف تقليص قوة « الإخوان المسلمين » ، أعضاء المنظمة الذين عادوا غاضبين من ميادين القتال فى فلسطين ، اتهموا النظام بالهزيمة ، وحكت إشاعات متعنتة عن خطط قيادة الإخوان السرية من أجل القيام بانقلاب مسلح ، بعد ذلك بأسابيع قليلة ، فى كونه فى ذروة قوته وتأثيره ، قتل سراً حسن البنا ، زعيم الإخوان المسلمين ، بواسطة رجال الشرطة السرية المصرية ، فى عملية انتقامية قتل الإخوان رئيس الحكومة .

زواج الملك فاروق من زوجته الثانية ناريمان

فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ ، فى قصر عابدين فى القاهرة ، اجتمع كل قادة المجتمع المصرى للمشاركة فى فرحة الزوج الملكى بمناسبة ولادة « أحمد فؤاد » ، النجل الأول لفاروق وزوجته الثانية « ناريمان » ، « فاروق » عرفها قبل ذلك بعامين فى محل مجوهرات فاخر فى شارع قصر النيل ذو الأشجار ، وقفت بجوار المنضدة برفقة شاب، قامت بقياس خاتم زواج، وكانت جميلة لدرجة أن الملك انتهز الفرصة ليعرفها شخصيا .

قال لثالث « أعرف لى من هذه » .

الثالث ذهب وجاء . اسمها « ناريمان » وهى تبلغ من العمر سبع عشرة عاماً ، قال الرجل الذى بجوارها خطيبها ، وهو موظف فى الأمم المتحدة .

أريد أن يعود إلى أمريكا فى أسرع وقت ، أرسل إلى هذه الفتاة بعد ذلك فوراً ،؟ واضح .

« نعم جلالة الملك ، سأعالج الموقف .

عاد « فاروق » إلى قصره متأثراً من الشوق ، التفكير فى الفتاة التى عرفها للتو ، كان على رأس أولوياته ، فى نفس الأسبوع طلق« فاروق » زوجته « فريدة » التى تركت القصر مع بناتها الثلاث ، وبعد أيام قليلة تزوج الملك من ناريمان فى مراسم فاخرة فى قصر عابدين بالقاهرة .

أحداث ثورة يوليو فى الرواية

فى يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، فى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ، كان من المقرر أن يستولى المتمردون على مركز الاتصالات فى كوبرى القبة فى القاهرة ، لكن عندما وصلوا الى هناك اكتشفوا لدهشتهم أن المبنى مغمور بضوء الكشافات ووحدات عسكرية مدعمة تقوم بحراسته .

كان من الواضح أن شخصا ما وشى بهم ، وتم اتخاذ خطوات لإحباط السيطرة على مركز الاتصالات ، لكن لم يكن هناك طريق للعودة . جنود تابعون للانقلاب أطلقوا النار فى الهواء كتحذير ، ولدهشتهم الكبيرة ، سمع من مركز الاتصالات طلقات منفصلة فقط ، وفور ذلك وضع الحراس أسلحتهم وتم احتلال المبنى فى غضون فترة بسيطة بدون سفك دماء .

قوافل من الدبابات والمدرعات حاملات الجنود ، التى خرجت من قواعد الجيش العسكرية بجوار القاهرة ، انضموا للثوار ، ملأوا الشارع المركزى على اسم الخليفة المأمون ، المؤدى إلى القاهرة ، وشقوا طريقهم إلى المدينة .

بدأت موجة الاعتقالات بموجة كبيرة وتم اعتقال عشرات الضباط والقادة فى الشرطة السرية المخلصين للملك ، اتصل رجال نجيب بسفارات الولايات المتحدة وبريطانيا ، أبلغوهم بالانقلاب وحذروهم من التدخل فى التطورات ، لأنها شأن مصرى داخلى .

استيقظت مصر على واقع جديد ، القاهرة كانت فى أيدى الثوار ، أغلب الجيش وقف إلى جانبهم ، فاروق وأسرته كانوا محاصرين فى قصرهم أمام الميناء الغربى للإسكندرية ، فى الوقت الذى كانت تجوب فيه سفن سلاح البحرية أمام نوافذ القصر ، كانت تتقدم طوابير الدبابات من القاهرة لإحكام الحصار على قصر الملك فى الإسكندرية ، اجتمع الثوار فى جلسة عاجلة ، من أجل مناقشة مصير الملك ، اقترح البعض تقديمه للمحاكمة بسبب أعمال الفساد التى ارتكبها ، الآخرون وعلى رأسهم « محمد نجيب » طالبوا بطرده من مصر ، استمرت المناقشة فترة طويلة بدون حسم ، وفى النهاية اقترح نجيب أن القرار سيكون فى أيدى الثوار الذين سيطروا على القاهرة وعلى رأسهم جمال عبد الناصر ، هؤلاء قرروا الطرد ، وأرسل نجيب برقية إلى الملك يخبره فيها بخروجه من مصر حتى الساعة السادسة فى يوم ٢٦ يوليو .

بدون اختيار ، قبل الملك شروط الطرد ، قال إنه سيخرج من مصر إلى إيطاليا مع أسرته فى سفينة التنزه الملكية « محروسة » ، وطلب أن يقوم الحرس بإطلاق ٢١ طلقة مدفع من العيار الثقيل عند إبحار السفينة ، وافق نجيب لكن طلب أن يتم إعادة السفينة التى تم شراؤها بأموال الشعب المصرى إلى مصر بعد توصيل الملك إلى مكان نفيه .

فى الساعة السادسة مساء خرجت الملكة ناريمان ، مرتدية فستان التنزه الأبيض ، من القصر فى طريقها إلى الرصيف الملكى ، سارت فى أعقابها المربية البريطانية ، حاملة بين أذرعها ابنها الأمير الطفل « أحمد فؤاد » ، فاروق بالزى الرسمى ، خرج

بعدهم ، الحمالون حملوا ٢٣ صندوقاً من الملابس ، المجوهرات ، وأمتعة شخصية ، عزفت معازف القصر النشيد الوطنى ، وأطلقت المدافع ٢١ طلقة نارية .

صعد « نجيب » على سفينة التنزه قبل أن تبحر ، وجه « فاروق » كان شاحب الوجه كالجير ، ناريمان وقفت بجوار درابزين السلم بدون حركة وأرسلت نظرة أخيرة تجاه الإسكندرية . نجيب أدى التحية للملك ، وفاروق رد له التحية ، كليهما كان مرتبكاً وللحظات قليلة لم ينفوه أحد منهم بكلمة ، قدم زعيم الثوار للملك كتاب الموافقة بالطرد ، أمسك « فاروق » قلمه الذهبى وبدأ فى التوقيع ، لكن يده ارتعدت وفسد التوقيع ، وقع مرة أخرى ، رفع عينيه إلى نجيب وقال قمت بواجبك ، حان وقت الفراق .

ابتعدت المحروسة عن الرصيف وأبحرت تجاه البحر الفسيح ، الآلاف من المصريين وقفوا على ساحل البحر وتابعوا بصمت السفينة المبتعدة ، لم يذرف أحد منهم دمعة ، وقف فاروق على سطح السفينة ونظر للمرة الأخيرة إلى الدولة التى طردته بالعار بسبب حرب لافائدة منها ، سياسة خاطئة وفساد ليس له حدود .

موقف الديانة اليهودية من الأغيار (غير اليهود)

للموقف الغير معتدل من جانب المتدين تجاه التصرف الدينى والأخلاقى أثر ، بالطبع أيضاً على العلاقة بين العالم الغير يهودى ، كتاب المتدينين يحتوى على مجموعة كاملة من التعليمات فيما يتعلق بالاتصال بمراسم العبادة النصرانية .

على اليهودى أن يمتنع عن أى اتصال مع هؤلاء ، اليهودى لا يدخل إلى مصنع أجنبى ، أو فناء مصنع أجنبى ، ومن يتجاوز ذلك عليه الكفارة [١] .

ومن الأمثلة التى تظهر تميز بنى إسرائيل بالنسبة لغير اليهود فى كتاب التلمود ما يلى :

أ - «إذا ضرب الوثنى يهوديا استحق الموت»، والإسناد عندما أقدم موسى على قتل المصرى وطمره فى الرمل عقاباً له على ضرب رجل عبرانى من أخوته .

ب - من ضرب إسرائيليا على فكه ، فكأنما اعتدى على الحضرة الإلهية ، وفى هذا التفسير تصريح لليهودى بقتل غير اليهودى إذا ما اعتدى عليه وتشبيه الإسرائيلى بالحضرة الإلهية وذلك ذروة السمو والتعالى [٢] .

يزعم التلمود أن أرواح اليهود تتميز عن بقية الأرواح ففى تفسيرات الفقرات :

« وأكثرت من زناها بذكر أيام صباها التى زنت بأرض مصر ، وعشقت

(١) יעקב כ"ץ ، בין יהודים לגויים ، יחסי היהודים לשכניהם בימי - הביניים ובתחילת הזמן החדש ، מוסד ביאליק 1967 . ירושלים עמ' 99

(٢) د. عبد الخالق عبد الله جبة ، الفكرة الصهيونية فى الأدب العبرى الحديث ، كلية الآداب جامعة المنوفية ٢٠٠٨ ص ٥٥ .

معشوقيهم الذين لحمهم كلحم الحمير ، ومنيهم كمنى الخيل » [1] .

فسر التلمود هذه الفقرات بأن أرواح اليهود تتميز عن باقى الأرواح بأنها جزء من الله ، كما أن الابن جزء من والده وأرواح اليهود عزيزة عند الله بالنسبة لباقى الأرواح غير اليهودية هى أرواح شيطانية وشبيهة بأرواح الحيوانات وأن نطفة غير اليهودى كنطفة باقى الحيوانات .

وهنا بلغ حد تمييز العنصر اليهودى لدرجة جعل أرواح اليهود تختلف عن أرواح بقية الأجناس فهى جزء من الله ، وبأن أرواح غير اليهود شيطانية حيوانية وهكذا يبلغ ادعاء التميز إلى ذروته.

فيجعل التلمود النعيم مأوى لأرواح اليهود فلايدخل الجنة إلا اليهود أما الجحيم فمأوى الكفار من المسيحيين والمسلمين ولانصيب لهم فيه سوى البكاء [2] .

العلاقة المتوترة بين اليهود وغير اليهود

تتسم العلاقة بين اليهود وغيرهم بأنها علاقة خاصة يسودها جو من التوتر ، ولم يكن هذا نابعا من فراغ ، بل كان نتيجة حتمية للمؤثرات اليهودية التى خلقت مع مرور الوقت عداء بين اليهود وغيرهم ، وهذه العلاقة المتوترة لم تكن قاصرة على شعب بعينه أو دولة بذاتها ، فقد كان اليهود مصدر قلق للشعوب التى يعيشون بينها .

ولم يكن هذا إلا نتيجة للأسلوب الغريب الذى أضفاه اليهود على نوعية علاقاتهم مع الآخرين ، واستغلالهم كثيرا من الوسطاء نتيجة سيطرتهم المالية والاقتصادية وعزلتهم الاجتماعية التى فرضوها على أنفسهم [3] .

(١) المرجع السابق ص ٥٧.

(٢) المرجع السابق ص ٥٨.

(٣) د.جمال عبد السميع مصطفى الشاذلى ، مفهوم النكبة فى الرواية العبرية الحديثة (١٩٦٥-١٩٧٥) ، رسالة دكتوراة ١٩٩٧.

الموقف الصهيونى من الأغيار فى الرواية :

أظهرت الرواية صورة سيئة للجيش المصرى حيث شبههم المؤلف بجيش ألمانيا النازية !

فى ظل الإحساس بوجود كارثة تقترب ، وقف اللواء جفعاتى أمام ٢٣٠٠ جندى مصرى متحصنين فى أشدود ، حوالى ١١٠٠ من محاربيه ومحاربى اللواء الجنوبى ، الذين كونوا كل القوة المتاح تعبئتها بهدف الهجوم ، الخطة : ستقوم بطاريات المدافع وقذائف الهاون بقصف موقع الدفاع المصرى فى أشدود ، وبعد ذلك سيهاجمه ٦٠٠ جندى من الجنوب ، ٣٠٠ من الشمال ، حوالى ٢٠٠ من الشرق ، سيغلق عدة عشرات من الجنود الطريق من منطقة المجدل إلى أشدود من أجل منع وصول الإمدادات . وحدة الإغلاق من المقرر أن يتم أخذها من كيبوتس نيتسانيم .

لقد كانت هذه فصيلة « أفراهام شفرتستين » . فى الليلة التى بين ١-٢ من يونيو ، فى حقول محاصيل الذرة ، ليس بعيداً عن أشدود تركزت القوة المعدة للهجوم . افا كوفنر وقف بينهم ، وظهر من الظلام صوته الحاد والمتحمس .

أيها الجنود ... الليلة ستصعدون على أشدود .... الليلة ستهاجم فصائل المشاة التابعة لنا العدو وستدمره فى قتال متلاحم ، وجهاً لوجه .

كعادته تحدث كوفنر بحماس وبصوت مرتفع ، مثلما تحدث فى مسامع المتمردين فى جيتو فيلنا . المصريون لم يكونوا أفضل فى عينيه من الألمان ، هؤلاء وهؤلاء يريدون تدمير الشعب اليهودى ، صرخ صرخة أرض الوطن المنتهكة تحت أقدام الغزاة الأجانب ، ونادى بالرد على العدو ، وطرده من هذه الأرض التى لاتخصه .

صورة بدو فلسطين فى الرواية

أظهرت الرواية صورة البدو فى فلسطين ، حيث يظهرهم خائنين لوطنهم ، ويقومون بمساعدة القوات الصهيونية فى الحرب ضد القوات العربية ، وأنهم

يمدونهم بالمعلومات من أجل مساعدتهم على تدمير القوات العربية .

« فى ليلة يوم ١٥ مايو ، تحت سماء كثيرة النجوم ، أسرع بدوى مسن من خيمته فى الأرض المنبسطة جنوب رفح ، وشق طريقه بخطوات سريعة تجاه كيبوتس «نيريم » ، من على بعد سمعت أذنيه أصوات الغناء والعزف ترتفع من الكيبوتس الصغير فى غرفة الطعام المزخرفة ، أضاءت أضواء كهربائية ملونة وجوه المتحمسين لفتية وفتيات رقصوا هناك بكل قوتهم ، الفرحة بإعلان الدولة سحرتهم ، وأخفت المخاوف من الغد الملبد بالغيوم فوق الكيبوتس كظل مخيف .

البدوى اقترب من الموقع المحصن فى حذر بجوار مدخل الكيبوتس . هو يعلم فقط كلمات معدودة بالعبرية ، وتمنى أنها تمنع السكان فى الكيبوتس من إطلاق النيران عليه .

صرخ سلام سلام ، أنا « أبو خفاجة » .

هم يعرفونه ، لقد كان حارس الحقول الذى عمل عندهم منذ إقامة الكيبوتس .

ماذا تريد ؟ صرخ نحوه أحد المدافعين .

استدعوا لى الخواجة « لوفلسكى » بسرعة .

عن طريق جهاز اتصال داخلى تم استدعاء قائد الكيبوتس من غرفة الطعام ، انقطع عن دائرة الرقص وجرى نحو الموقع بجوار الباب . وقف البدوى هناك ، على ضوء بياض القمر ، واحتضنه « دودو لوفلسكى » بحرارة .

سأله بقلق ماذا حدث ؟

تشويه صورة الشخصية العربية

أظهرت الرواية على حد زعم المؤلف ،التعاون الوثيق بين البدو والمستوطنين الصهاينة فى بناء المستوطنات الجديدة وتقديم البدو المياه واللحوم للمستوطنين مقابل المواد الغذائية الأخرى ، ومعالجة الطبيب اليهودى للكيبوتس للبدو فى خيمة

الاستضافة .

تم إنشاء كيبوتس « نيريم » فى غضون ليلة قبل ذلك بسنتين . قبل أن يصل البريطانيون لمعرفة ماحدث ، تم إنشاء المبانى الأولى على السلك الشائك للبريطانيين. ربطت علاقات حميمة بين البدو فى المنطقة وبين المستوطنين الجدد .

فى وقت بناء الأكواخ الأولى مد البدو رجال الكيبوتس بالمياه من آبارهم ، أعطوهم ماعز وأخذوا مقابلها قمح ، أرز ، ملح وسكر .

بعد ذلك بأسابيع قليلة بعد ظهور الكيبوتس على الأرض أقام المستوطنون فى مدخله « مضيفة » (خيمة استقبال الضيوف) ، والتى تم فيها استضافة البدو عابرى الطريق بالطعام والشراب ، فى يوم الزيارة الأسبوعى للطبيب ، وصل دائماً عدد من البدو من أجل تلقى العلاج ،إخلاصه أنقذ من الموت عدد غير قليل منهم .

نظر « أبو خفاجة » حوله فى خوف وتنهد فى تأثر ، وقال: الجيش المصرى عبر الحدود فى رفح ، هم يعتزمون مهاجمتكم هذه الليلة أو غدا .

من أين لك بهذه المعلومات ؟

قابلت جنود مصريين ، هم قالوا لى .

هل رأيت كثير من الجنود ؟

كثير جداً . يوجد لديهم دبابات ومدافع .

تعجب « دودو لوفلسكى » ، لقد كان يعلم حقاً أن الجيش المصرى على وشك غزو البلاد ، لكن حتى هذه اللحظة لم يعلم النوايا بتحويل مستوطنة « نيريم » أحد الأهداف الأولى للقوة الغازية .

مخابرات اللواء الجنوبى على غرار مخابرات الجيش الناشئ كلها كانت فى مهدها، لم تكن لديه الوسائل المطلوبة لكشف حجم قوة القوة المصرية وخططها .